

"نحو هندسة مستقبل جزائري: من ضبط المفاهيم التاريخية والفكرية، إلى الإقلاع الاقتصادي والإستراتيجي" - ج1 -

Towards Engineering An Algerian Future: From Controlling Historical And Intellectual Concepts To An Economic And Strategic Take-Off - P1 -

- نبيل كحلوش:

باحث في الدراسات الإستراتيجية وبناء السلم. طور الدكتوراه (بجامعة أريس - Arees) الأمريكية.

- أكرم عبد المؤمن

- طالب في الدراسات الإقتصادية والمالية. (بجامعة الجزائر 3).

- الطالب ماسينيسا نايت حمود

- طالب في دراسات علم الآثار. (بجامعة الجزائر 2).

- الطالب محمد أمين خريفي

- طالب في الدراسات الفلسفية. (جامعة البليدة).

الملخص:

من أجل وضع مشروع نهضة للدولة الجزائرية وفق المعطيات الراهنة فلا بد من إعادة النظر في بعض المحطات التاريخية التي لاقت الكثير من الجدل وتصويبها لتثبيت العمق الحضاري للشعب، ثم وضع الإطار الفكري الذي يعكس مفهومية الأمة وخلفيتها الفلسفية ورد بعض الأفكار المخالفة وتصويبها بما يتماشى ومشروع النهضة المعاصرة، ثم إلقاء نظرة عامة على الإطار المادي المتمثل في الإقتصاد والإطار الإستراتيجي المتمثل في رصد المتغيرات الدولية وتحديد تموقع الجزائر فيها. وعليه فهذا المقال يقدم بما يشبه بياناً للأمة يسعى من خلاله إلى الإجابة عن الإشكالية المحورية وهي: "بأي شكل يمكن أن يتهندس المستقبل الجزائري في ظل هذه الصدمات الفلسفية والتاريخية والأوضاع الاقتصادية والمتغيرات الإستراتيجية؟". وهذا الذي أدى في الأخير إلى إعادة ضبط أهم الحقائق التاريخية التي مرت على هذه الأرض وتحليل بعض الفلسفات الدخيلة وردها مع تقديم ملامح عامة عن شكل الإقتصاد المعاصر الذي يجب العمل من أجله ثم إلقاء نظرة شاملة على أهم المتغيرات الدولية ورصد موقع الحراك الشعبي الجزائري فيها وحقيقة الصدام بينه وبين النزعة الاستعمارية، وامتداد هذه النزعة داخليا عبر أذرعها الداعية لتفكيك الدولة بذريعة الانفصال، ثم طرح كيفية تجديد ثقافة الاستعداد الحضاري لمواجهة الانقلابات التاريخية في ظل التيارات المتصادمة حاليا عالميا.

الكلمات المفتاحية:

التاريخ، الخصائص الاجتماعية، الآثار، العرب، البربر، الرومان، الكاثوليك، الوندال، البونيون، الفينيقيون، الإسلام، الخلفية الفلسفية، الثورة، النموذج الذاتي، الليبرالية، الشيوعية، الفلسفة الملكية، التحيز القومي، الرهبانوقراطية، المصالح، الحقوق، المنهج العلمي، المنطق، الصناعة، الزراعة، التجارة، المؤسسات الناشئة، الإنتاج، القاعدة التكنولوجية، العمق الإستراتيجي، العلاقات الدولية، الجزائر، فرنسا، الانفصاليون، التيارات الفكرية، الإفلاس النموذجي، الأزمة البيولوجية، الرؤية الكونية، الحراك الشعبي.

مقدمة:

تتغير أوضاع الدول باستمرار وفق قاعدة التداول، وهذا ما يعني أن الدولة الجزائرية ليست استثناء من هذه السّنة الكونية التي تتجلى من خلال الحالة الراهنة التي وصلت إليها بعدما كانت قبل قرنين من الزمان -أي قبل استعمارها- من بين أكبر الفواعل الدولية الرئيسية في حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم، وبعد مرور عدة مراحل تاريخية حرجة، كالثورة التحريرية الكبرى، ثم المأساة الوطنية المتمثلة في الإرهاب بعد ثلاثين سنة من الاستقلال الشكلي، ثم الحراك الشعبي بعد عشرين سنة من الحكم المشبوه، وصلت الدولة الجزائرية إلى المصب التاريخي الذي تصب فيه كل تراكمات تاريخها، حيث أفرز صدمات حادة تشمل مجال التاريخ والفلسفة مع تقلبات اقتصادية حادة ومتغيرات استراتيجية ودولية عنيفة، هذا الذي يستدعي بشكل حتمي إعادة تصويب نقاط هامة في التاريخ الجزائري عبر البحث الجاد والموضوعي من أجل صد المغالطات المروّجة عنه لأسباب غير علمية بتاتا بل إيديولوجية بحتة، وكذلك إعادة تصويب نقاط فكرية تخص التيارات الفلسفية المتضاربة من أجل إعادة وضع وترسيخ المعالم الثابتة للفكر الحضاري الجزائري الذي يتميز بالمتانة المنطقية والنزعة الثورية ضد التيارات الإيديولوجية التي تريد جره نحو الاستلاب والاستئصال والتعصب والتغريب، أي حرفيا: نحو اللامنطق، وبعد ذلك تقديم البديل ثم اقتحام الأزمة المادية التي ألقت تأثيراتها حتى على المجال الفكري والأخلاقي مما يتوجب حلّها باعتبار الدور الذي تؤديه في الاستقرار الاجتماعي ماديا ومعنويا، ألا وهي الأزمة الاقتصادية، حيث يتطلب الأمر وضع الملامح العامة والتوصيات الهامة للإقلاع الاقتصادي الحقيقي الذي يواكب العصر وخصائصه الاستهلاكية والتكنولوجية، وبالطبع فإن كل تلك التصويبات التاريخية والفلسفية والبدائل الاقتصادية لابد أن تكون ضمن رؤية استراتيجية تستهدف كشف خاصية العلاقات الدولية للجزائر وتحدياتها الكبرى وبالأخص بعد الحراك الشعبي، ثم رصد المتغيرات العالمية من أجل تأسيس ثقافةٍ للاستعداد الحضاري والهندسة الاستراتيجية للمستقبل.

الإشكالية:

بأي شكل يمكن أن هندسة المستقبل الجزائري في ظل هذه الصدمات التاريخية والفلسفية والأوضاع الاقتصادية والمتغيرات الإستراتيجية؟

الأسئلة الفرعية:

- ماهي مميزات العمق الحضاري والإرث التاريخي والبشري للجزائر؟
- ماهي أبرز ملامح الخلفية الفكرية الجزائرية؟
- ماهي أسس الإقلاع الاقتصادي الجزائري؟
- كيف يمكن صنع المستقبل الجزائري انطلاقا من تفكيرك تحدياته الإستراتيجية؟

الفرضيات:

- كلما ازداد إفلاس المجتمع نموذجيا في الحاضر، كلما ازداد جدله حول الماضي.
- إذا اعتمدت نخب المجتمع على الاستيراد الفكري، ضاعت نماذجها الأصيلة ووقعت الدولة في الاغتراب.
- التحديد السليم لحاجيات الدولة وإمكانياتها، يؤدي حتما إلى التحديد السليم لكيفية تحقيقها.
- كلما كان رصد المتغيرات الإستراتيجية دقيقا، كلما كان التوقع أكثر دقة.

الإطار المنهجي:

- المنهج التاريخي المقارن:

حيث تمت دراسة المراحل التاريخية القديمة للجزائر ثم مقارنتها ببعضها البعض للوقوف على أهم المنعطقات التي أثرت في التاريخ الجزائري واستنتاج أوجه الاختلاف والتشابه ومواطن التداخل والترابط بين الحضارات والقوميات التي شكّلت في الأخير التركيبة البشرية الجزائرية. وهذا المنهج قد تم الاعتماد عليه بالدرجة الأولى في المحور الأول وبشكل نسبي في المحور الثاني والرابع.

- المنهج الوصفي التحليلي:

يساعد هذا المنهج في معالجة الدراسة عبر وصفها ثم تحليلها من كل الزوايا من أجل الإلمام بها والخروج بنتائج تتطابق مع الحالة المدروسة بكل تفرداها واستثنائيتها. تم استخدام هذا المنهج في دراسة حالة الجزائر في المحور الأول لوصف المعطيات والآثار التاريخية ثم تحليل مضمونها وتفسيره. وفي المحور الثاني كذلك من أجل وصف الخلفية الثورية للفلسفة الجزائرية وتحليل محتواها ومحتوى بعض الفلسفات الأخرى من أجل نقدتها وتصويبها. وكذلك في المحور الثالث حيث تم وصف الحالة الاقتصادية للبلاد وتحليل الأسس الرئيسية

لإقلاع حقيقي يشمل بصفة عامة جوانبا أربعة وهي: الصناعة والزراعة والتجارة والمؤسسات الناشئة. وفي المحور الرابع أيضا تم استخدام هذا المنهج من أجل الإحاطة بطبيعة العلاقة بين الدولة الجزائرية أثناء الحراك الشعبي والدولة الفرنسية، ثم تحليل جوهر المشروع الانفصالي وعلاقته بالنزعة الاستعمارية، وكذلك تحليل العمق الإستراتيجي للصحراء الجزائرية اجتماعيا واقتصاديا في المنطقة الإفريقية، مع تحليل لقدرة هذا العمق على التفاعل الإيجابي والتأثير الفعال في وسط هذه الحالات المعقدة في إقليم الساحل.

- المنهج الفيلولوجي:

وقد تركّز حصراً في المحور الأول، حيث تمت دراسة نبذة عن اللغات القديمة التي كان لها تواجد تاريخي على الأرض الجزائرية، ومقارنة بعض ألفاظها مع لغات أخرى وتحديد نقاط التشابه ورصد أهم التغيرات التي طرأت عليها.

تقسيم المقال:

لقد تم الاعتماد على العمل المشترك في طرح هذا المقال والذي يعكس آراء وأفكار كاتبه ضمن مشروعهم الفكري، وعليه فإنه يجمع بين أربع مجالات وهي: التاريخ والفلسفة والاقتصاد والاستراتيجية، لتكون كلها الركائز الرئيسية في هندسة المشروع، وهذا من طرف كل من الباحث "ماسينيسا نايت حمود" في المحور الأول، و"محمد أمين خريفي" في المبحث الثاني، و"عبد المؤمن أكرم" في المبحث الثالث، و"نبيل كحلوش" في المبحث الرابع.. وقد تم العمل إلى أربعة محاور رئيسية وهي:

- 1- المحور الأول: وقفات وتصويبات في عمق التاريخ الحضاري والبشري الجزائري.
- 2- المحور الثاني: ملامح فلسفة جزائرية ثورية: مواجهات فكرية معاصرة.
- 3- المحور الثالث: ملامح اقتصاد جزائري معاصر.
- 4- المحور الرابع: الجزائر والمستقبل: تفكيك المسار الإستراتيجي الحرج.

- 1- المحور الأول: وقفات وتصويبات في عمق التاريخ الحضاري والبشري الجزائري.

أ. المكونات والخصائص الاجتماعية في الجزائر:

كمدخل عام، فإنه حينما يتم ذكر الخصائص الاجتماعية في الجزائر فذلك يعني التطرق مباشرة إلى العقلية الشعبية وطريقة عيش الفرد الجزائري في مختلف القبائل والعشائر، وإذا دققنا النظر في هذا الموضوع فسنرى بأن هناك خصائص معنوية مشتركة بين كل القبائل المنتشرة في الجزائر وهي: نزعة الدفاع عن الأرض، الشرف، الحرمة، والعصبية القبلية.

فالمستشرقون الألمان والرحالة الأوروبيون الذين قاموا باستكشاف الأراضي الجزائرية قديما، لاحظوا وجود هذه الميزات الأربع عند كل من الزواوة -القبائل- والعرب والشاوية والتوراق وبني ميزاب وغيرهم. فهي مكون أساسي في عقلية الجزائري وطريقة تفكيره، وتتجلى مثلا في عدم رضاه بالذل والمهانة، وبالطبع الثورة الشديدة ضد المعتدي على أرضه، وعدم رضاه بتلويث سمعة عائلته أو قبيلته. ومن جهة أخرى نلاحظ وجود مميزات رفيعة مثل الكرم والجود وحسن الضيافة ومساعدة الغريب والتكافل الاجتماعي، وهي ليست بالجديدة، إذ لو نستذكر أحداثا من أعماق التاريخ فسنجد مثلا الملك "حانون القرطاجي" الذي كان في رحلة استكشافية حينما استقبلته قبائل الليبو في وليمة للرحلة، وكذلك رحبوا بمن يأتيهم مسالما. وقد تعامل القرطاجيون الفينيقي بالمثل كذلك -شعب مسالم- لكن في وقت الحرب لا يتهاون مع العدو إطلاقا، و هي نفس الملاحظة التي أفاد بها الرحالة العرب أو الأعاجم. ويمكن أيضا أن نذكر العادات والتقاليد، فهي عنصر أساسي في المكون الثقافي لكل قبيلة أو إثنية أو مجموعة بشرية. ويمكن أن نرى مدى تمسكهم بها والعمل بها والتي تتواتر جيلا بعد جيل، سواء شفويا أو كتابيا، وكذلك فلكلوريا كما هي الحال مع بعض الأيام الخاصة في السنة، على شكل أناشيد، وتهليلات، وولائم جماعية، تساعد على تقوية الأواصر بين أفراد القبيلة وكذا تحسين العلاقات مع القبائل المجاورة مشكلةً لنسيج اجتماعي وثقافي وتاريخي متين هو أحد أهم العراقيل التي واجهها المستعمرون في مختلف الأزمنة. فبخصوص الحرمة مثلا يقول "الحسن الوزان" في كتاب (وصف إفريقيا) عن نساء العرب المقيمين بجوار مملكة تلمسان: "فإذا رأين رجلا ليس من أهلهم، احتجبن فورا بهذا اللثام، وأمسكن عن الكلام، فإذا انفردن بأزواجهن وذويهن رفعن اللثام". وهي نفس الملاحظة التي أفادها القناصل الأمريكيون في القرن 18 أثناء بقاءهم في الجزائر وهي نفس الملاحظة من طرف بعض المستشرقين الذين انتشروا في باقي المناطق.

و كذلك يجب أن نشير إلى أن إحدى السمات البارزة في الجزائري هي الصلابة والقدرة على تحمّل العوامل البيئية المحيطة، فزواوة والشاوية يعيشون في بيئة باردة في أعالي جبال جرجرة والأطلس، وبني ميزاب والقبائل العربية والتوراق ينتشرون في الصحراء الحارة وباقي المناطق ذات البيئة الشديدة.

ومن الأمور الاجتماعية الهامة أيضا أنه لكل قبيلة أو قرية أو "دوار" زعيم أو مجلس من كبار الأهالي، حيث يعملون بمبدأ "الشورى" كما أحكامهم تستند إلى القرآن وشرعية الإسلام المقدسة. -وهذا ما لاحظته أيضا الرحالة الفرنسيون في سنة 1880م ودونوه أثناء كشوفاتهم- و كذلك ما ذكره ابن خلدون حول تنظيم السكان القاطنين على هذه الأرض. و لازلنا إلى اليوم نراه في عدة مدن من مجتمعنا المعاصر.

ب. التواجد المشترك للبربر والعرب في أرض الجزائر:

إن البربر كعنصر بشري لم يكن معزولا عن محيطه، إذ قد عرفوا علاقات تجارية وثقافية وحضارية مشتركة مع مناطق عديدة، أقواها وأكثرها ثراء هي التي كانت مع المشرق العربي، و لا تبدأ هذه العلاقة بمجرد بدء الفترة "البونية" بل أقدم بكثير، فانطلاقا من الهجرات البشرية المتبادلة والأحداث التي تلت العصر الجليدي فإن الفحوصات الجينية التي أجريت على تلك الهياكل العظمية للإنسان "المشتى افالو" المنتشرة عبر مناطق عديدة من الوطن قد كشفت لنا عن جينات إفريقية و مشرقية مشتركة في سابقة من نوعها تبين لنا وجود ما يشبه علاقات المصاهرة. وكذلك لاحظنا وجود ثقافات انتقلت من شمال إفريقيا إلى المشرق في علاقة تأثير وتأثر.

وعبر العصور بقيت الصلة بين المشرق و المغرب مستمرة، سواء في الفترة الليبية أو البونية أو النوميديّة وحتى الرومانية و البيزنطية ولكن ليست بالشكل الذي كانت عليه من قبل.

فما إن وصلنا إلى الفترة الإسلامية حتى عادت تلك العلاقة مجددا، ويسجل لنا المؤرخون القدماء المحليون مثل "عبد الله بن عبد العزيز البكري" في كتابه (المسالك و الممالك في بلاد المغرب و افريقية) في عدة صفحات منه، عن العيش المشترك بين البربر و العرب تجلت على شكل دول قوية في عمق الحضارة الإسلامية، ومدن مزدهرة مثل تلمسان وبجاية ومعسكر. وهاهو هنا الرحالة "الحسن بن وزان الفاسي" الملقب بـ"ليون الإفريقي" يحكي لنا عن تلك المدن وسكانها وعن ذلك الانصهار، ومثله أيضا فعل "الرحالة الأغواطي".

وكذا فإن هناك تأثيرا ثقافيا عميقا بين الفئتين في العادات والتقاليد والدين واللغة، ترجمه التعايش المشترك والدفاع الموحّد عن الأرض كما حصل في العديد من المراحل التاريخية ضد الهجومات الأوربية.

وكذلك عدم امتناع العرب وغيرهم من الأقوام الأخرى على التضحية في محاربة عدو مشترك، كما حدث ذلك مثلا أثناء محاولة الاستعمار الفرنسي غزو مدينة البليدة في سنة 1831م حيث قام "أبو زعموم الزواوي" بجمع جيش من العرب وزواوة لصد العدوان ثم إرسال برقيات إلى "الأمير عبد القادر" الذي لبّى النداء بدوره أتى إلى المنطقة ورحّب به أعيان زواوة .

ومن الناحية الاقتصادية، فقد كانت قوافل التجارة والمزارع والمعاملات، كلها تصب في نوع من التعايش الفريد بين العُنصرين، بل ويضيف الرحالة "كلمانس لامبينغ" الألماني في سنة 1841م في وصفه لهذا التماسك السوسيوثقافي للجزائريين بقوله: "إن اتحاد هذا الشعب سيشكل شعبا فريدا قادر على مواجهة العالم".

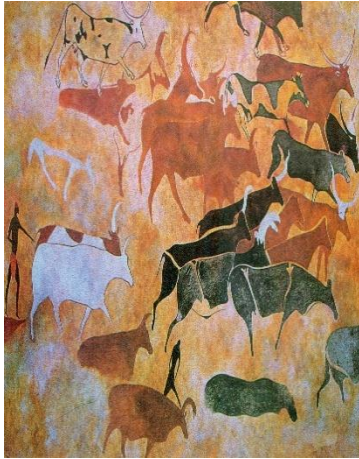
ج. تصويبات في تاريخنا الحضاري:

لقد عرفت منطقة شمال غرب إفريقيا وخصوصا الجزائر، ومنذ ظهور ثقافات ما قبل التاريخ إلى غاية العصر الحالي، مراحل تاريخية مهمة تكشف لنا عن تنوع حضاري وتمازج ثقافي على مر العصور، لكنها ليست ظاهرة للعيان بشكل واضح، إذ هناك عدة أسئلة وخبايا سنحاول الإجابة عنها.

ج. 1. ما قبل التاريخ :



عرفت الجزائر في فترة ما قبل التاريخ مجتمعات بشرية وحضارات ذات خصائص ومميزات فريدة تمثلت في الحضارة القفصية، والايوموراسية والعاترية، وكذا إنسان المشتى " أفالو " وإنسان المشتى عربي. والامتدت أغلبها من شرقها إلى غربها مؤثرة على المناطق حولها و متأثرة بها.



كما لا ننسى أيضا أحد أهم المراكز الحضارية وهي الطاسيلي، فتلك الأرض قد عرفت منذ زمن طويل -وعندما كانت عبارة عن مساحات شاسعة من السافانا والأراضي الخضراء والخصبة- تواجدا بشريا وثقافيا مميزا، كشفته لنا تلك الرسوم والنقوش على الصخور التي حملت رسالة حضارية ودليلا لا يفتنى على حضارة يشهد لها التاريخ.

وكذلك توجد القبور الميغاليثية القديمة والحجرية التي تم التأريخ لها بين 8000 إلى 10- و 20 ألف سنة. وقبور الشوشات والحوانيت المتواجدة بعدة ولايات من الوطن في شماله وجنوبه، وأيضا الأدوات الحجرية المتنوعة التي وجدت في حفريات في سطيف و المدينة وكذا ولايات بالجنوب.



وجدير بالذكر أن هذه الثقافة الماقبل تاريخية قد عرفت كذلك اتصالا حضاري مع المشرق والجنوب، أثبتت عن وجود هجرات بشرية قديمة من المنطقة إلى خارجها أو من الخارج إلى داخلها. ونذكر على سبيل المثال: تأثير الثقافة الايوموراسية الشمال إفريقية على الثقافة الوشابية حسب "ايريك ديلسون" و"ادريان نايجل غورين موريس"، فقد تم إيجاد أن الثقافة الناطوقية المشرقية بفلسطين، قد تأثرت

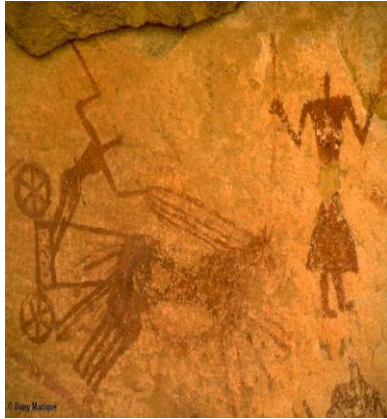
بالثقافة الايوموراسية الشمال إفريقية. وكذلك نذكر الهجرات التي حصلت من جنوب الصحراء والغرب الجنوبي إلى الشمال.

ج. 2. الثقافة الليبية:

"الليبو" أو "الريبو"، كانت كلمة أطلقها الفراعنة على جيرانهم في الغرب، وأما هيرودوت الإغريقي فقد قال بأن الليبو قد استوطنوا مساحة تمتد من مصر إلى رأس صولوسيس -هي في المغرب حاليا-، وأنهم مجموعة من الشعوب تسمى بـ"الليبو". إضافة إلى وجود الفينيقي والإغريق حولهم.



هؤلاء الناس كما يحكي لنا المؤرخون القدماء أمثال هيرودوت وغيره، وكذلك مع ما وجدناه في نقوشات معبد "الكرنك" في مصر، كانوا يحافظون على ذلك الطابع الثقافي القديم كامتداد للثقافات القديمة، إذ عرفوا تطورا حضاريا نسبيا أقل مما شهدته مناطق بلاد الرافدين والحضارة المصرية، فقد كان أغلبهم رحالة وبدوا رحلا _نوماد_. ورغم ذلك فقد تركوا لنا مشاهدا من التاريخ تمثلت في حروبهم مع المصريين القدماء في الحملة الليبية الأولى والثانية ضد المشوش والتمحو والتحنو في الألفية الثانية والثالثة قبل الميلاد. ثم أتت فترة كانت بما يشبه السلم المؤقت بين تلك الاطراف. ورغم ذلك فقد حاولت تلك القبائل الاتحاد كما رأينا من سكان الغرامنتيين الذين حكموا الصحراء الليبية الى غاية الجزائر في نوع من الكونفيدريالية والتي بقيت أطلال عاصمتهم موجودة لحد الآن في جنوب غرب ليبيا بمدينة "جرمة".



ولقد تعلم الليبيو الزراعة، والصناعة اليدوية، واشتهروا بالعربات التي تجرها الخيول الأربع التي وُجدت لها رسومات في كل من ليبيا والجزائر، والتي أكد المؤرخ الإغريقي هيرودوت على أن الإغريق من الممكن أنهم استوحوها من هؤلاء السكان. ونذكر منهم قبائل عديدة مثل الماشلي، والأوخسيس، والأترنت، والأتلنت -نسبة إلى جبال الأطلس-، والموزيلام.

ومن أهم الشواهد عليهم هي قبورهم القديمة التي تتواجد في مناطق مختلفة من الوطن مثل مدن: باتنة وقالمة وبجاية وتيارت، بالإضافة إلى ما تركوه من الكتابة الليبية القديمة بمختلف أنماطها. وبالطبع فقد كانوا مجتمعاً وثنياً، إذ عبدوا الشمس والقمر، وكذا الآلهة المصرية مثل آمون. وكانوا ينامون على القبور ويتعبدون في الكهوف. ويقول هيرودوت عنهم أنهم كانوا يحلقون شعرهم ويتركون ضفيرتين على الجانبين ويوشمون أنفسهم.



-حفريات مدينة "جرمة"، عاصمة الغرامنتس.-

ج. 3. البحارة الفينيقي والعصر الجديد:



دائماً توجد في التاريخ، وفي أسبابه البعيدة وخلفياته العميقة، أحداثاً مهمة تمثل نقطة الانعطاف، ولذلك فإن هناك حدثاً مهماً سيغير من المعادلة الحضارية كان قد بدأ منذ عدة قرون قبل الميلاد.

فقد ظهر من المشرق، وخاصة من مدينة "صور" بلبنان بحارة، اعتبروا من أهم ملاحي عصرهم، وهم ما يسمون بـ"الفينيقي"، أو الكنعانيين. هؤلاء

أمة سامية عربية انتقلوا من جزيرة العرب إلى السواحل الشمالية وعاشوا مع أبناء عموماتهم من السكان هناك. وقد حكموا المناطق الغربية والساحلية لبلاد كنعان ك فلسطين وسوريا.

هؤلاء البحارة يشهد لهم التاريخ والكتب والمؤرخون على هيمنتهم البحرية وبالأخص على الطرق التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وإنّ بحثهم عن المعادن والمصادر الحيوية والأراضي الجديدة للاستيطان، وكذا معاناتهم من التهديد الآشوري لمناطقهم، ومرورهم على المراحل التاريخية الشديدة التي شهدت سقوط مدن "العصر البرونزي" -من بينها مدن إغريقية وفينيقية وحيثية-، كل ذلك سيفتح صفحة جديدة من تاريخ المنطقة وخصوصاً بأرض الجزائر.

لقد استقروا أثناء كشوفاتهم في جنوب إسبانيا بإقليم أطلقوا عليه اسم "تارشيش"، وأنشؤا مدينة "قادش" وذلك لزر تلك المنطقة بالمعادن الثمينة.

إلا أن الرحلة من إسبانيا إلى كنعان تأخذ وقتا طويلا ولا بد من التزود بالمؤن ولهذا أنشئوا محطات تجارية و محطات للراحة والتزود بالمؤن. وكذا للمتاجرة مع السكان المحليين في غاليا وإيبيريا وشمال إفريقيا. فكانوا يبحرون في النهار ويرتاحون في الليل. وبسبب هذا عرفت العلاقة بين هؤلاء الليبو والفينيق استقرارا ومودة كانت بداياتها تجارة ثم انتقلت إلى إنشاء الموانئ ثم الأسواق ثم إلى القرى، وتلك القرى تحولت إلى مستوطنات مثل أوتيكا - عتيقة- وليكسوس بالمغرب، و جزيرة رشقون بمدينة عين تيموشنت شمال الجزائر.



و كذلك نجد العديد من القبور الفينيقية في مناطق مختلفة من مدن الساحل الجزائرية، مثل جبل وجزيرة رشقون وهيون وصلادي وإيكوزيوم - الجزائر العاصمة حاليا-. وهكذا فبعد زمن سنشهد نتيجة لذلك اتصالا وانصهارا حضاريين لتشكيل مجتمعات جديدة.

-صورة لقبور فينيقية بولاية جبل شمال الجزائر.-

ج. 4. تأسيس قرطاج وأثرها الثقافي والحضاري على المنطقة:

لقد تُرجمت تلك العلاقة فيما بعد فيما بعد بحدث آخر وهو تأسيس قرطاج في القرن 9-8 قبل الميلاد عبر الملكة الفينيقية "عليسة"، بعد لقاءها بالملك "هيارباس" زعيم قبيلة "الماكسيتاني" حسب الرواية الفينيقية والإغريقية والرومانية، ولا بد هنا أن نسلط الضوء عليها. فـ"عليسة" أو "ديدو" أو "إليسا"، كانت ابنة الملك حاكم "صور"، وزوجة كاهن "معبد صور" الذي يقال أنه كان من أغنى معابد كنعان وذلك بسبب العادة الدينية للفينيقيين التي مفادها تقديم 10 بالمئة



من ثرواتهم عند تجارتهم، للإله "ملك كارت"، إله التجارة، من أجل التبرك به. ولقد كان شقيقها طامعا في ذلك الكنز فقتل الكاهن، وأدركت الأميرة أنها التالية، لذلك وبعد الاتفاق مع حاشيتها توجهت نحو قبرص، ثم من قبرص نحو أراضي تونس. وهناك طلبت من الملك "هيارباس" أن يعطيها قطعة ارض بحجم جلد ثور فلم يرى مانعا، لكنها قامت بقصه

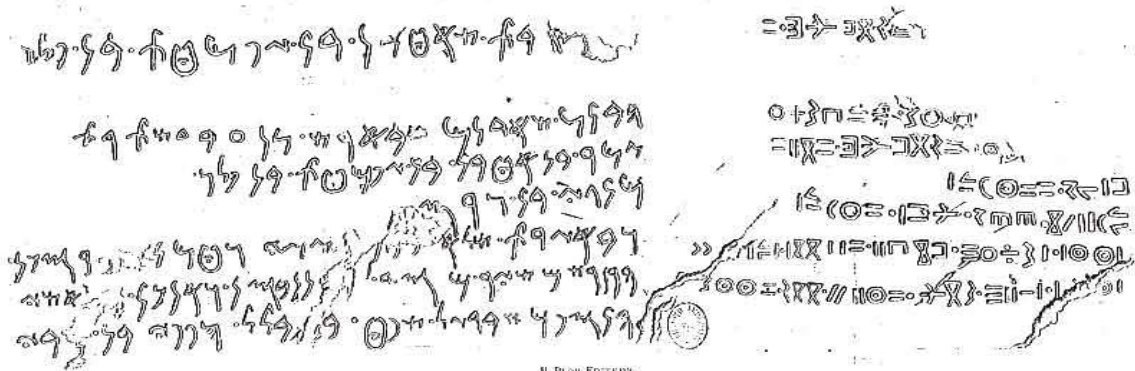
وصنعت خيطا أحاطته على هضبة "بيرصة" وبالتالي لم يستطع الملك التراجع عن قراره. فأتى الليبو والفينيق من مدينة "عتيقة" وبدؤوا في بناء المدينة التي سميت "قرت حدثت"، أي المدينة الجديدة بالفينيقية. إلا أن الملكة انتحرت بسبب أن أحد شروط الاتفاق هو أن تتزوج من الملك، ففضلت أن تبقى وفية لزوجها الذي مات، وطعنت نفسها على إثر ذلك. فتحولت إلى أحد أهم رموز العبادة في قرطاج.. هذه المدينة التي ستبسط نفوذها لاحقا على شمال إفريقيا وجنوب أوروبا.

ج. 5. الحضارة البونية "Punic civilization":

كانت تلك الحضارة ثمرة للمزيج بين الشخصية المشرقية الفينيقية والشخصية الليبية الإفريقية، ومن التعايش بينهما انبثقت اللغة البونية من قرطاج والتي استعملها كلا من الفينيق والليبو والليبو-فينيق (lybo-phoeniciens)، بالإضافة إلى اللغة الليبية القديمة في المدينة البونية "دوغا" بغرب تونس حيث كان سكانها يستعملون اللغتين معا فيما يسمى بـ"التمازج الثقافي البوني- الليبي"، وكذا ما تثبته اللوحات والصخور ذات اللغة الثنائية البونية- الليبية في عدة كشوفات.

وقد تم إنشاء المستوطنات والموانئ مثل صلداي -في بجاية-، وأرشغول -في سيقا-، في القرن 4 - 3 قبل الميلاد، وتحولت تلك الموانئ التي ذكرناها سابقا إلى بوابة لليبو نحو البحر المتوسط، حيث كانوا يعملون في حقول القرطاجيين وأخذوا مناصبا إدارية وعسكرية وانخرطوا في الجيش حيث شكلوا جزء مهما من الخيالة والمشاة مثل الرماة الليبيين والخيالة النوميد، وكذا خاضوا مع بعض الحروب ضد المستعمرات الإغريقية في غرب ليبيا، وعرف الليبو والفينيق اندماجا ثقافيا وبشريا في شمال إفريقيا على مر الزمن.

INSCRIPTION BILINGUE DE THUGGA



H. PLON ÉDITEUR

Copye réduite au 1/100 de l'original et gravée d'après un estampage exécuté et communiqué par les soins de M^r Sarras. L'un des Conservateurs du Musée Britannique.

- على اليمين الكتابة الليبية، وعلى اليسار الكتابة البونية.-

وقد شجع زعماء قبائل الليبو أقوامهم على تعلم البونية والتشبع بثقافتها، كما أنه قد نشأ العديد من أمرائهم في قرطاج، وكانت هناك علاقات مصاهرة فيما بينهم، وكذلك شهدت هذه الفترة بداية نهوض أول الممالك النوميديّة ألا وهي "الماسيل" في قيرطا، و"الماسيسل" في سيقا، وأيضا ظهور مملكة "المور"، بالإضافة الى القبائل "الجيتولية" و"الموسيلامية" التي استفادت كثيرا من الثقافة البونية، وكذا تم حينها سك العملة البونية وازدهرت آنذاك التجارة والمبادلات والعمران.

ولعل من أبرز الديانات آنذاك هي اليهودية والوثنية "كآلهة: تانيت، بعل، اشمون، عنتيوس الليبي"، إلى جانب استمرار الطقوس الليبية في التعبد بالكهوف مثلما تم إيجاده في معبد الحفرة أمام وادي الرمال بمدينة قسنطينة شرق الجزائر.



نقوش حجرية ليبية وبونية وُجدت بولاية "بجاية" شمال الجزائر.-

ج. 6. العهد الروماني:

من أهم حروب العصر القديم، هما الحربين البونيتين الأولى والثانية اللتين تسببتا في صراع بين الإغريق والقرطاجيين و الرومان والليبو -النوميد-.

فمن نتائجها انهزام قرطاج وتوحيد مملكة نوميديا على يد الملك "ماسينيسا" المنحدر من الجزائر. ولكن عقب ذلك فرضت روما سيطرتها على أراضي شمال افريقيا، فتمت مقاومتها العديد من المرات من قبل القائد النوميدي "يوغرطة" وكذلك من "يوبو الأول". حاول الرومان (رَومنة) الأراضي البونية والليبية، وشهدت الفترة كذلك تدمير العديد من الآثار الحضارية البونية والقرطاجية والنوميديّة مقابل توسع المستوطنات الرومانية عليها، وكذا انتشار الديانة المسيحية وظهور الدوناتية والأريوسية. وخلال ذلك ظهرت مدن شهيرة مثل "تيمقاد" و"أيول -شرشال- وغيرها. وكذا شهدت ظهور خط "الليمس" -وهو خط دفاعي مكون من الحصون والقلاع والخنادق يحيط بأراضي الإمبراطورية-. واستمرت السيطرة الرومانية من القرن الأول الميلادي إلى القرنين 4-5 ميلادي وعرفت انجازات

معمارية مذهلة آنذاك، وبالطبع فقد استمرت رغم ذلك الثورات تتوالى ضد الرومان مثل

ثورة

"تا

كفار

ينا

س"

في

نوا

ي



"الأوراس" شرق الجزائر، وباقي مناطق شمال إفريقيا .

-صورة للغة الرومانية القديمة.-

ج. 7. الفترة الوندالية:



هي إحدى الفترات المهمة التي لم يتم التركيز عليها في مناهجنا الدراسية كثيرا، فقد شهدت أوروبا قديما عصرا لهجرة الوندال الذين قاموا بغزو شمال إفريقيا وأوروبا، وكذلك شهدت حرقا لمدينة روما وإنشاء مملكة الوندال التي عاصمتها قرطاج بقيادة "جنرسيك الوندالي" في القرن 04 ميلادي، وكذا استقلال ممالك المور -البربر-، و قد كانوا على العقيدة الأريوسية -وكانوا يُسمّون بالأريسيين- المخالفة للكاتوليكية. لهذا قام الكاثوليك وقساوستهم باضطهاد الأريسيين في إفريقيا، وقاموا

باننزاع الضرائب من سكانها. وبعد ذلك ولأول مرة عاد البربر إلى حكم أنفسهم في الممالك المورية المستقلة وسط كل هذه التيارات المتصارعة، و ظهرت مملكة الأوراس و الحصنة وألتافا والنمانشة - ناماشة -، وقام الوندال بصك عملتهم "الديناريوس الوندالي"، وقاموا بصد حملات الرومان ضد إفريقيا، آخرها انتهى بالقضاء على جيش روما الغربية الذي كان يتألف من 100 ألف جندي بعد حرق سفنهم. إلا أن ذلك لن يستمر طويلا بسبب الخلافات في العائلة الملكية لغاية عهد الملك "جلمير"، حيث تخللت العلاقة بين الوندال والبربر تحالفات أحيانا وصدامات أحيانا أخرى، كما حدث مع "مور طرابلس" التي تمكنت من هزيمة الوندال والتوسع. وبقيت الأمور على حالها لما يقارب القرن من الزمن حدث فيه تأثير ثقافي عميق بين الوندال والبربر.

ج. 8. الفترة البيزنطية:

بعد سقوط روما وصعود نجم القسطنطينية في الشرق، أرادت الأخيرة استعادة مجد روما عبر محاولة إعادة احتلال الأراضي التي تركتها بسبب الوندال، وكذا محاربة العقيدة الأريوسية والدوناتية، لهذا أمر الإمبراطور "جوستينيانوس" بالقيام بحملات عسكرية، انتهت بهزيمة الوندال في قرطاج و كذا محاربة البربر وممالك المور التي حاربت بدورها هذه الحملات البيزنطية لآخر رمق مع الملك "جلمير". إلا أنها توقفت بعد السيطرة على شرق الجزائر ومعه تونس وليبيا لكون المناطق الأخرى تحكمها ممالك المور القوية المستقلة. وحسب المؤرخين البيزنطيين فقد استطاع "مور طرابلس" جمع ما يقارب 14 ألف إلى 15 ألف فارس. وملك "الأوراس" بشرق الجزائر استطاع لوحده جلب 30 ألف فارس، وقد شهدت المنطقة العديد من الثورات خصوصا في المناطق الشرقية الجزائرية، وصراعا كبيرا بين قبيلتي الأوكلامي -كتامة- و الموزيلام -الأوراس- من جهة، والبيزنطيين من جهة أخرى، تماما كما حدث مع الرومان سابقا. وقد عاد البيزنطيون إلى فرض الضرائب واضطهاد البربر دينيا وإحاطة أراضيهم بسلسلة من القلاع والحصون و الخنادق والأسوار.

ج. 9. الفترة الإسلامية:

تعد الفترة الإسلامية -باختصار- إحدى أهم وأعظم وأقوى وأجمل الفترات التي مرت على شمال إفريقيا، فقد شهدت جلاء للقوات البيزنطية ونهاية للاضطهاد الذي كان ممارسا على بعض قبائل البربر الأريسيين الذين كانوا مؤحدين وأقرب للديانة الإسلامية، أي على عكس القراءات التاريخية المؤدجة التي تريد وضع ما يشبه صداما وجوديا بين البربر والإسلام وتخفي حقيقة تاريخية جد أساسية وهي أن قبائلا من البربر الأريسيين هم أنفسهم كانوا يعانون من اضطهاد مارسه عليهم بربرٌ كاثوليك تابعون للرومان. هذا ما جعل الرسالة الإسلامية بالنسبة للبربر المظلومين تعتبر رسالة تتماشى ليس فقط مع خلفيتهم الإيمانية فحسب بل حتى مع وضعيتهم الاجتماعية التي هم عليها باعتبارها ثورة جريئة وجديدة ضد كل الأطراف الظالمة سواء الأجنبية أو المحلية التابعة لها. وقد شهدت الفترة الإسلامية على أرض الجزائر ظهور دول قوية مثل الدولة الرستمية والحمادية والموحدية والمرابطية، وكذا ازدهار المدن والعلوم والتطور الحضاري والثقافي، وقد تجلّى ذلك في مؤلفات ذلك العصر وصار طالبوا العلم من مختلف الأقطار والمناطق في أوروبا وآسيا يتواترون على المنطقة لطلب العلم، وقد جمعت تلك الممالك بين العنصر العربي والبربري، إذ حسب "عبد الله ابن عبد العزيز البكري الأندلسي" في كتاب (المسالك والممالك لبلاد إفريقيا والمغرب) فقد شهدت البلاد بناء مدن جديدة وأسواقا كثيرة وازدهارا كبيرا، وحتى تعايشا دينيا، حيث وجدت الكنائس ودور عبادة اليهود مع المساجد، وعاش البربر والعرب في مدن مشتركة، وكذلك شهدت الفترة الإسلامية بروز مدن تعتبر منارات كبرى للعلم في الجزائر مثل بجاية وتلمسان وقسنطينة، وأنشئت المكتبات والمدارس والزوايا للتربية والتعليم، وبرز حينها

العلماء والكتّاب من مختلف المجالات مثل ابن خلدون والحسن الوزان وابن بطوطة وعبد الرحمن الثعالبي وعبد الرحمن الأخضر، كما لا ننسى مشاركة البربر في فتوحات الأندلس وانتقال الثقافة البربرية و العربية إلى إسبانيا.

2- المحور الثاني: ملامح فلسفة جزائرية ثورية: مواجهات فكرية معاصرة.

- أ. الخلفية الفلسفية للثورة الجزائرية:
أ. 1. نظرية التصور الموحد: "الوجود"

إن الثورة بمفهومها العام هي ردة فعل، واستجابة، وموقف. وعند التخصيص هنا فهي رفض الكولونيالية الفرنسية. وعليه فإنها قضية سلبية في شقها المنطقي، أي تنفي الاستعمار والاستيطان، والاستعباد والخضوع. لأنها تؤمن بقضية وجودية ألا وهي وجود الفرد الجزائري ووجود كرامته، إنها استجابة لمنبه خارجي وحسّ بالواجب والحقيقة، واجب البقاء والاستمرار، الإنتاج، التربية، التعليم.. وإيمان بحقيقة الدين والقيم والفضائل والأخلاق التي طورتها التجربة الإنسانية الجزائرية -كما رأينا نماذج عنها في المحور الأول-، لتؤكد على وجودها وتحيزها وتفردتها، فعبارة "أنا موجود" مثلاً، إنما تعبر عن التفرد والكيونة الذاتية، فالثورة إذن بقضاياها المنطقية والوجودية، تعبر عن لفظ "أنا موجود".

أ. 2. الفلك الحضاري:

من أجل فهم الخلفية الفلسفية للثورة، ومن أجل فهم رد الفعل وأحكام العلية التاريخية فإنه يجب أن نشير قليلاً إلى فلسفة الفعل نفسه، ونقصد به "الإستعمار"، فالإستعمار -وبحكم فتحه فجوة ثالثة في التاريخ بتعبير الأستاذ مالك بن نبي-، سعى إلى إدماج الجزائر والجزائريين وجعلهم كينونة تابعة لفلكه الحضاري بغض النظر عن استعجاله أو تأنيه في تطبيق هذه الغاية، بحيث أننا نجد في مؤلفات الفرنسيين تفاصيل عديدة عن حياة أجدادنا مما يستدعي التأمل حول حقيقة رغبة الفرنسيين في فهمنا، هذه الرغبة التي لم تقتصر على المستشرقين بل شملت حتى الفنانين والرحالة وقبلهم العبيد والقناصلة على حد سواء، لقد أرادوا بشكل صريح العيش معنا ولكن وفق شروطهم ووفق مبادئهم، وهذا المنبه الحضاري أثار استجابة كما سنشرح، إلا أنهم كانوا قد وصلوا إلى مرحلة اللارجوع، فإما المواصله في الاستعمار وإما إعلان فشل المشروع والذي كان من جهة ما تنافساً مع القوى الاستعمارية الأخرى. لقد أدركوا -وكما أعرب عن ذلك المنظر الفرنكوأمركي "ألكسيس توكفيل"- بأن الفرد الجزائري قد دخل في فلك الصراع الحضاري استجابة للاستعمار، و إن حقق هذا الفرد الحرية فسيكون ذا طموح أكبر مما كان سيملك أدوات عمل مختلفة ومواكبة. وهذا شيء قد أدركه لاحقاً قادة الثورة، أي رد فعل يتسم بطموح كبير، و مدعم بأدوات عمل مواكبة للعصر، وهذا ما سيشجع على تصور دولة جزائرية تحتل مكانا في المدار الحضاري.

أ. 3. التعارض الاستراتيجي:

حينما نتبين بأن المجتمع الحقيقي يسعى إلى إثبات وجوده الذاتي، وحددنا موقع إثبات ذلك الوجود وهو العمل في الفلك الحضاري، فلا شك حينها أن هذه الإرادة ستتعارض استراتيجياً

مع إرادة الاستعمار الرافضة للوجود الجزائري والتي ترغب في إدماجه عبر الاستعانة بمنعدي الوجود الذاتي محليا سواء على مستوى الفكر أو الأخلاق أو السياسة أو الثقافة واللغة. وهذا التعارض هو بحد ذاته معضلة قد طُورت آليات لحله، منها الثورة، لذلك نفهم فإن الثورة في حقيقتها هي آلية لحل معضلة التعارض الإستراتيجي بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي الداعم بسياسيته وجنوده ومنظريه لهذا الاستعمار جيلا بعد جيل، وهنا فلا أهمية تُذكر لبعض الأصوات الخافتة هناك -والتي تُحسب لها أخلاقيا بالطبع معارضتها لسلب حرية الشعوب الأخرى- التي عارضت ذلك الطرح، أمام هدير تلك الآلة الضخمة للاستعمار.

أ. 4. تحقيق التصور الكامل:

إنّ تمسك كل طرف بتصوره وقضيته يدعم نظرية استمرار الثورة حتى لما بعد الاستقلال من أجل "تحقيق التصور الكامل" للوجود الجزائري في الفلك الحضاري. ويؤكد على نظرتنا هذه رفض الثوار لإغراءات "جاك سوستال" و"ديغول" التي هدفت إلى تحويل الثورة من "ثورة لتحقيق الوجود الذاتي" إلى "ثورة لتحقيق الخبز"، فهناك فرق بين وجود ذاتي مستقل يصنع خبزه بنفسه وبين وجود تابع يسترزق من فُتات موائد غيره، لأن الثورة في تلك الظروف التاريخية قد تعدت نطاق الاستجابة للحاجيات الغرائزية ووصلت إلى تبني العمق الحضاري لشعب جزائري يبحث عما يميزه ويمثله -رغم كل المحاولات اليائسة لبعض الأهالي (Les indigènes) الذين أرادوا عرقلة ذلك في سبيل ترسيخ الاستعمار-، فالحاجة هي لازم كل شعب، وتفاوتها يعني أن الشعب الجزائري قد تفرد بلازمه، وهو "تحقيق الوجود الذاتي" في حد ذاته. ومن المناسب هنا أن نذكر مقولة رئيس دولة روسيا الاتحادية "فلاديمير بوتين" حينما قال في رسالة تحمل في طياتها دلالات وجودية كبيرة: "لماذا سنرغب في عالم بدون روسيا؟". وبدورنا نقول "ولماذا سنرغب نحن في عالم بدون الجزائر؟"، في دلالة مباشرة لمن يريدون محوه كينونة الجزائري حضاريا وتاريخيا بعدما حاولوا ذلك جغرافيا وبشريا وفشلوا.

إن هذا التساؤل يستهدف بتصويب مباشر إلى كشف ضرورة الاعتزاز بوجودنا كشعب يجب أن يكون فاعلا في التاريخ والحضارة إقليميا ودوليا.

أ. 5. نحو قاعدة موحدة:

تجدر الإشارة إلى أن الثورة رغم فلسفتها الموحدة في تصور جزائري بدون استعمار مهما كان شكله -أي تصور الوجود الجزائري كفاعل حر في الفلك الحضاري-، إلا أنها لم تسلم من الصراعات الإيديولوجية والسياسية المُفتعلة -لأسباب جهوية وإيديولوجية بالدرجة الأولى- والتي مازالت تحتفظ بتأثيرها السلبي إلى الآن.

وهذا يستدعي منا أن نعزز تثمين وإقرار التصور الموحد بعيدا عن السفسطات المطروحة، فعلميا لا يمكن للقوى المتعاكسة في الاتجاه إلا أن تساوي صفرا، وهذا ما فعلته تيارات تغريبية واستنصالية ودينية وجهوية وقومية في الجزائر بشتى الذرائع، مما يستدعي الثورة العلمية عليها جميعا وتحقيق البناء الموازي لتحقيق النموذج الفكري الجزائري الذاتي الذي يترسخ في عمقه الحضاري من جهة ويواكب عصره العلمي من جهة أخرى، ولكن أيضا بدون الوصول إلى التقديس المبالغ لبعض القناعات والمواقف والذي يمنعنا بدوره من نقد ما يجب نقده، أي جعل الفلسفة الثورية الجزائرية تتميز بالثورة على نفسها أيضا في حالة رصدها لجسم دخيل يحمل أفكارا ميتة أو مميتة -بتعبير الأستاذ مالك بن نبي- قادما من النماذج الأخرى. هذا النقد الذي من شأنه أن يجعلنا نفند كل الأطروحات الخاطئة من أي طرف كان ومهما كان قناعه الإيديولوجي، وبالأخص تلك الأطروحات التي ساهمت في سحق الفكر الجزائري سواء بعد الاستقلال في 1962م أو بعد التعددية الحزبية في 1988م اللتين تعتبران من أهم نقاط الانعطاف ليس على المستوى السياسي فحسب وإنما على مستوى الفكر أيضا بسبب الطابع العام الذي انتشر بالقوة في كل مرحلة من تلك المراحل. لذلك يترتب علينا أن نناقش ما اختلف فيه ونجمع الشتات لنعالج وجهات النظر ونردع الإيديولوجيات الطفيلية التي تتغذى في وجودها على استلاب الآخر.

ب. الجزائر المستقلة بين النزعة الشيوعية والرأسمالية الليبرالية ، وما بينهما: نحو ثورة فكرية جزائرية معاصرة

ب . 1. نظرة في الشيوعية:

يخلط الناس بين نقد الأفكار كقضايا فلسفية وأخلاقية وبين نقد إمكانية تطبيق الأفكار وفق منهج علمي، نشأت عبر التاريخ الكثير من الأفكار التي تتحدث عن عالم مثالي "عالم المثل"، "اليوتوبيا"، بحيث يعيش الجميع في هناء ورفاهية، وهي حقا أفكار جميلة، أخلاقية، تتمنى الخير للجميع، و لكن هل الخوض في محاولة تطبيقها أخلاقي؟، وهل هي ممكنة تطبيقيا؟. يظن الكثير من المتوهمين أننا نخالف هذه الأحلام بذاتها ونرفض أخلاقيا وجود عالم مثالي، بينما الاختلاف المهم والحقيقي هو اختلافنا مع الذين يعتقدون بأنه بوسعهم إسقاط هذا العالم على عالمنا، أو بعض الذين يوهمون الناس بهذا العالم ليعجزوا عن مواكبة عالمنا المتغير بين الخير والشر، لذلك فنحن نختبر إمكانية تطبيق الأفكار والنتيجة هي التي تحكم على صحتها، فالسؤال هو: قبل أن يكون الأمر أخلاقيا، صحيا، نافعا، هل هو حقيقي أولا؟ يقول نيكولاس غوميز دافيل: "يبدأ النضج عندما نتوقف عن الشعور بأن علينا الاعتناء بالعالم بأكمله".

إن علمية الشيوعية تكفي لإلزام الاشتراكيين الديمقراطيين الإصلاحيين، فالاستناد على المادية التاريخية يعني أن أفكار ماركس هي مجرد طارئ صنعتها البنية الاقتصادية آنذاك مما يعني استحالة تعميمها وفرضها على الغير، فتعميم أفكار ماركس في بنية اقتصادية مختلفة

هو ضرب لأفكار ماركس نفسها. ثم إن الماركسية ليست نظاما، بل قوانينا تاريخية تفرض ثورة بروليتارية كنوع من الوعود الفخمة في شروط بينها ماركس -تناقض القوى المنتجة مع الملكيات-، فالشيوعيون من المفروض أن يجلسوا وينتظروا تحقق الوعد الذي يطرأ كالسبب الكافي، كالعلة التاريخية. ولكن أن يحدثنا الاشتراكيون عن "نظام"، فإن هذه ليست شيوعية، بل "رأسمالية الدولة" فقط. فـ"الإشتراكية" حينها إذن هي "الاسم التجاري لرأسمالية الدولة في السوق الانتخابي" كما يقول "نيكولاس غوميز دافيل".

وعليه فإن السؤال الحقيقي -وكما يقول "توماس سويل" في كتابه (الاقتصاد التطبيقي)- ليس أي الأنظمة أو السياسات هي الأنسب لأن تحقق نجاحا مثاليا، بل أي الأنظمة حققت فعليا نتائج أفضل مع بشر هم أبعد ما يكونون عن المثالية. وحتى فيما يتعلق بالمهمة الأكثر تواضعا، وهي تقييم السياسات المختلفة داخل نظام معين، فإن السؤال الحقيقي ليس أي السياسات تحظى بقدر أكبر من القبول، أو أي السياسات ستعمل بصورة أفضل إذا تصرف الناس بأسلوب مثالي، بل أي السياسات يتضح فعلا بأنها تحقق أفضل النتائج مع الأفراد الحقيقيين، كما يتصرفون فعليا.

ب. 2. نظرة في الليبرالية:

ب. 2. 1. الليبرالية كنتاج عن المسيحية:

في السنوات الأخيرة هنا عُرفت نزعات تنويرية لبرالية، يدعي أصحابها بأنهم قادرون على فهم الواقع الجزائري وحل مشاكله من خلال ما يسمونه "تنوير العقل الجزائري"، ومن أجل ذلك أردنا أن نعالج باختصار هذه الأطروحة، بعيدا عن الطرح التقليدي الرافض للبرالية لأسباب قيمية، بل لأننا سنستخدم نفس النقد النمطي الذي يعتمد البراليون للمنظومة المحافظة ونثبت من صميمها في حد ذاتها أنها تفكك ذاتها بذاتها، وكذلك لأنه قد تحتم نقدها بسبب توجه السيطرة الصامتة للمنظومة الليبرالية على الناس، إذ كما يقول "فولتير": "كل ما لا تستطيع انتقاده فهو بالضرورة يسيطر عليك".

يصادر الليبراليون على أن الحرية والمساواة واللاعنف بديهيات لا تقبل الاحتجاج، ولو راجعنا السياق التاريخي لعلمنا بأن مرد ذلك هو كون الليبرالية مجرد عَلمة للقيم المسيحية المتوارثة. بحيث أصبحت "الإيديولوجيا كنيسة" والمثقف قسًا، بل ومخلصًا، في حين أن أولئك الرافضين لليبرالية فهم رافضون "للخلاص". ونضرب لذلك مثالا بسيطا وهو أن المُخالف بالنسبة للرهبان التقليديين -والذين أشار إليهم القرآن بقوله أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل- هو المهترق، بينما المخالف لدى الليبرالي الجزائري ذو النزعة الرهبانوقراطية فهو "الروجي"، "الزطشي"، "شخص لا يعيش في القرن 21"، وهذا استيراد حرفي لتفضيل "القذف بالكفر والهرطقة" من أجل صنع جماعة وقوِّعة جديدة يزعمون من خلالها

أنهم يحاربونها، في حين أنهم محبوسين أصلا داخلها، أي ضمن نفس النموذج التفسيري. لذلك فاللبرالية هي مجرد دين محدث قائم على مسلمات مسيحية تقليدية تمت غلمنتها لتراعي شروط النهضة الأوروبية، والمشروع اللبرالي في الجزائر عند الكثيرين هو مجرد استيراد لتلك المسلمات -حتى دون فهمها أو الشعور بها- وعجز تام عن فهم واستيعاب التجربة الجزائرية، بل وقصور في فهم أنها تجربة إنسانية مختلفة تخضع بالضرورة لشروط أخرى مختلفة أيضا تنتسب لاحتميات نفسية واجتماعية مخالفة.

ب.2.2. اللبرالية لا تحارب اللبرالية:

على ذكر التجربة الإنسانية الجزائرية، يجب أن نتساءل عن موقف اللبراليين الجزائريين من تجربة سابقة كانت مصيرية وجوديا، وهي التجربة مع الاستعمار الفرنسي، ف دائما ما يعتمد اللبراليون القفز الفجائي إلى الفتح الإسلامي للإقليم المغاربي أو التسليم بداهة أن رفض الاستعمار تجربة بطولية ممجدة. ولكن من الناحية المنطقية كيف يمكن أن نبرر رفضنا للاستعمار لبراليا ؟، قد نتفهم موقف اللبراليين من الفتح الإسلامي بحكم مسلماتهم المخالفة ولكن أين هي مسلماتهم في الحديث عن رفض استعمار يعد بنشر قيم التمدن واللبرالية؟ قد يسارع بعض اللبراليين إلى عرض فكرة "التحيز للقومية"، ولكن القومية لا معنى لها أيضا في نظم الدولة اللبرالية، إذ لا يمكن أن نبرهن في ظل اللبرالية التي تقر الشمولية لنشر مبادئها بأن رفض الاستعمار كان فكرة جيدة، بل التاريخ يظهر لنا بأن رفض الإدماج -ولو على حساب الحاجيات الأساسية للفرد- هو ما ترك الجزائري الثائر رافضا للاستعمار على مر الزمن. فكيف يبرر اللبراليون رفض الإدماج هذا وهم يدعون إليه؟ إن اللبرالية تريد فرض فكرة اللاعنف -مهما كانت الأسباب- بينما الجزائري قد خالفها من أجل استقلاله، فكيف يبرر اللبرالي الإستقلال إذن؟

ب.2.3. حلم مدني ام لبرالية حقيقية؟

ومثلما قد شرحنا فإن اللبرالية كما أنها تتناقض مع الواقع الديني والتاريخي للجزائر فهي، أيضا تتناقض مع الواقع الاقتصادي، إذ يتحسم الكثير من اللبراليين الجزائريين للبرالية الاجتماعية فتراهم يحملون شعارات الحرية -المساواة، دون الحديث عن واقع اللبرالية الاقتصادية في الجزائر، وهذا يجعلنا نشكك في نزاهة المشروع اللبرالي برمته في الجزائر وغيرها من الدول ذات نفس العمق الحضاري، إذ هل هو يعرض سياسة بنزاهة حيث يبرز التكلفة اللازمة مقترحا حلولا لها، أم هو مجرد تطفل وتذمر اجتماعي أكثر منه مشروع متكامل مبني على أسس تاريخية وفكرية واقتصادية واستراتيجية؟، فمثلا، لنفرض أن أحدا أراد أن يصبح حرا حرية حقيقية، إن أول ما يحرص عليه العاقل هو أن يوسع ملكيته، إذ منطقيا لا أحد يفترض بأنه حر في ملكية الآخرين، لذلك فعندما يريد اللبرالي مثلا شرب الخمر، فعليه أن يحرص على ذلك في ملكيته دون تطفل على ملكية الآخرين التي تتيح لهم "تعميم تفضيلاتهم" أيضا، ثم نناقش موضوعيا "هل شرب الخمر أخلاقي أم لا؟ صحي أم

مضرّ؟.. الخ". وقد يتساءل البعض، لماذا نربط نحن بين اللبرالية وتفجير الشهوات؟. هذا لأن اللبراليين يتحدثون عن استيراد التشريع المدني أكثر مما يتحدثون عن اللبرالية كمذهب اقتصادي، ويقفزون من "اتركه يعمل - دعه يمر"، إلى "اتركه يتمرّد .. دعه يضر".

ب.2. 4. النسوية اللبرالية:

على الرغم من أن المشروع اللبرالي عند فئة ما قد فشل أمام الاختبارات السابقة، إلا أنه قد يضل مشروعا نزيها في جوهره العميق ولكنه حق أريد به باطل بسبب الأساليب المستخدمة والغايات الخلفية وراء الأهداف الظاهرية، فهو ظاهريا يستهدف سعادة الإنسان، سعادة الجزائري، والرفاه الاقتصادي والحرية الإبداعية في العمل. ولكن عندما نتحدث عن النسوية اللبرالية فيجب التنبيه إلى ذراع من وظيفي يستخدم أنثى الإنسان بوحشية تامة تحت أقنعة ملونة. فالنسوية لم تعد سياسة يمكن اختبارها علميا للخروج بنتائج موضوعية، بل شكلا من "التطفل". إذ قد سعت اللبرالية في مفهومها العام إلى تحرير الإنسان، وربما أرادت خدمة بالإنسان وفشلت فأضرته من حيث أرادت أن تنفعه، أو على الأقل نفعته في أموره ثم ألحقت به الضرر في أمور أخرى، ولكن النسوية اللبرالية لم تضع هدفا سليما أصلا، بل هي تطفلية إقصائية، تبحث عن "حرية المرأة" و"سعادة المرأة" -بدلا من حرية وسعادة الإنسان ككل ذكرا وأنثى-، لذلك فهي لم تعد سياسة سليمة ولا نزعة حقوقية تستهدف العدالة بل إرهابا باسم الجندر، فهذا الخطأ في الزاوية الابتدائية للنظر، دائما ما تعتمده النسوية اللبرالية للتحايل على الوقائع من منظور ذاتي أنثوي ضيق بدلا من التحليل الموضوعي العلمي الشامل، فلا أحد ينكر بأن الذكور قد هيمنوا على ميدان القيادة والتخطيط الإستراتيجي كمّا ونوعاً على مر التاريخ البشري واستفاد الكل من هذا الإبداع، ولكن هذه "الذكورية" من منظور نسوي هي ظلم - وجشع، فنتم شيطنتها بدلا من الاستفادة منها والتكامل معها -أو تهذيبها وتصحيحها في حالة وجود أخطاء- لأنها أصلا طبيعية وعفوية وليست اصطناعية ومتكلفة، بل حتى يصور الذكر كأنه شيطان عند هذه النسوية. بينما العلم يثبت عكس ذلك تماما، فالذكورية - بمفهومها الإيجابي- كانت ضرورية من أجل حفظ بقاء الجماعات وتنسيقها مما جعلها منتجة ومثمرة. وتكفي البرهنة على ذلك باستقراء الواقع المادي -كالصناعة والزراعة والابتكار والبناء والتشييد والدفاع والتخطيط- لمعرفة ذلك، وهذا لأن الحضارة البشرية الحالية بجميع انجازاتها هي ثمار ملايين السنين من الذكورية -باستخدام مصطلحات النسوية اللبرالية-، مما يجعلها لا تتناقض مع نفسها فقط منطقيا، وإنما مع العلم والتاريخ أيضا فضلا عن تحطيمها للعواطف البشرية الطبيعية بين الذكر والأنثى مما سيوصلها إلى عكس هدفها أصلا.

نستنتج إذن، وبناء على ما سبق تقديمه حول الليبرالية، بضعة نقاط يمكن إجمالها كالآتي:

- أن الليبراليين لا يسلمون من عاطفة القطيع وتقديس مسلمات ميتافيزيقية بدون برهان عليها -تماما كما تفعله في نقد الغير-، إذ الليبرالية لا تستطيع تبرير وجودنا كجزائريين فضلا عن صياغة قيمنا.
- كما يقول "نيكولاس غوميز دافيللا": "إما أن الإنسان له حقوق، وإما أن الشعب ذو سيادة"، فالتأكيد الآن ي لهاتين الأطروحتين الممتنعتين، هو ما يُسمى الليبرالية. إذ الليبرالية الإقتصادية هي التي تحقق الليبرالية الاجتماعية، ولا ينبغي التحمس إلى الحرية وأنت تعاني نقص المورد. كما أن تحقيق المورد يعني نقضك الليبرالية الاجتماعية، "التوسع على حساب الآخرين".
- الليبرالية النسوية ليست لبرالية .
- كما يقول "آلان دوبونوا" في كتابه "مشكلة الديمقراطية": "يجب أن نضع في اعتبارنا بأن الشمولية يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة، وأن المُعَايرة "اللينة" التي بدأنا نشهدها في الديمقراطية الليبرالية اليوم -وهي شكلٌ من أشكال الاستبداد الذي حَدَرْنَا منه "توكفيل" بالفعل- ليست أقل شموليةً من التي تتجلى في معسكرات القمع والاعتقال".

ج. الفلسفة التملكية كردة فعل معاصرة:

الفلسفة التملكية هي منهج علمي عقلاني تجريبي يختص بترشيح و إقرار السياسات والمقترحات معتمدا على فهم السلوك البشري وتحليله، هندسه الفيلسوف الأمريكي "كيرت دوليتل" وصاغه بالتعاون مع آخرين.

ج. 1. تعتمد الفلسفة التملكية على مبادئ أساسية هي:

- المنهجية العلمية التجريبية:
- إن المنهج التجريبي هو دراسة تختص بالظواهر المادية القابلة للرصد وفق منهج علمي، يعطي العلم نتائج غير قابلة للإجماع في عدة مواضيع، ولا يتم إثبات صحتها مطلقا أو نفيها مطلقا، ولكنها تبقى فهما أقرب لكيفية نظام حركية العالم.
- الشهادية:

يعتمد الكثير من الناس إلى نقل القصص معتمدين على تحليلهم الشخصي للقصة مما يعرضها للتحيز -استنتاج خاطئ، سوء فهم، افتراضات تخمينية..-، فتقترح الفلسفة التملكية نقل القصص بالاعتماد على معرفة مباشرة ومنهج دقيق، -وهذا أشبه بمنهج أهل الحديث في نقل الأثر المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام، ونقل متن القصة دون حشو أو قطع للنسق. وهذا التحليل سيساعد الناس على الوصول إلى أكبر نسبة من المصادقية لحقيقة الأخبار. فمثلا: نقلت قبل بضعة أشهر بعض المنتسبات لتيار النسوية خبر مقتل امرأة موريتانية من طرف منظمة غير حكومية، فبدل أن يكتفوا بنقل الخبر في حدود معرفتهم، قاموا بتحليلات إيديولوجية استغلالات للخبر -وهذا معروف على صعيد واسع في مجالات

أخرى وعند تيارات مختلفة أيضا-، مما أدى إلى مغالطات منطقية فاضحة، وذلك حينما ادّعوا بأن هذه الحادثة دليل على احتقار المرأة حصرًا، بينما يسهل الوصول إلى استنتاج أن الجرائم لا تستثنى أحداً وتخطف بالجميع ولهذا فلا محل للتمييز الجنسي في هذه الأمور أصلاً لأن الجريمة تبقى جريمة ضد الإنسان سواء استهدفت ذكراً أو أنثى.

- الإجرائية:

إن المجازات، والتناظرات، والمضامين النابعة من المصادرة على المطلوب، والادعاءات الوجودية.. تؤدي إلى الخطأ. فالتحيز، والتفكير بالتمني، والإيحاء، والخلط، والغش، والخداع.. كلها قد أخذت منا سنيها من الضياع والانحطاط عانت منه الحضارات الانسانية كافة، خذ كمثال في الحراك الشعبي الجزائري كلا من شعارات "يتنحوا قاع"، "حرة ديمقراطية"، "دولة إسلامية بلا ما نفوطو".. الخ، نلاحظ تطبيقاً بأنها شعارات -مثلها مثل شعارات السلطات السياسية في مراحل عدة من التاريخ- قد أخذت وقتاً من العمل السياسي الحقيقي، ومن قوة الحراك وهدفه، ورغم ذلك، بقيت في النهاية غامضة، مبهمّة، غير متسقة، غير موضوعية، بدون منهجية واضحة، ودون استراتيجية بادية للعيان مقروءة ويمكن قياسها.. فهنا تقترح الفلسفة الملكية صياغة الأهداف وفق قوانين يمكن اختبار صحتها، فعندما نضرب مثلاً عن "جزائر حرة" فنحن نعني بأنه لا سلطة خارجية يحق لها التدخل في سياستنا الاجتماعية والاقتصادية وتشريعنا الديني والوضعي، وهذا شيء يمكن اختباره ويمكن التحقق منه ودراسته والعمل من أجله وهندسة برنامجه وتخطيط استراتيجيته، أما الشعارات فهي كحلم اليقظة، تأتي ثم تختفي تاركة المشاعر لا البرامج.

- القيم والتفضيلات:

إن الحقائق موضوعية لأنها تبنى على الملاحظة والقياس ورغم أن النظريات المفسرة لها قد تكون صحيحة أو خاطئة إلا أنها موضوعية، أما القيم والتفضيلات فهي ذاتية لأنه تختص بها كيانات محددة تعمم أخلاقياتها على المجتمع الجماعة، مما يثير النزاع هو أن بعض الجماعات المصغرة بدلاً من التكيف مع قيم الآخرين العامة -ولها حرية الحفاظ على رؤيتها الخاصة في إطارها الخاص- فإنها تريد أن تفرض قيمها وتفضيلاتها. فراضين تكلفة بدون مقابل، وعندها ستشعر بقية الهيئة الاجتماعية بالتهديد، مما سيجعلهم بذلك يقاومون هذا التطفل.

يحاول بعض اللبراليين فرض تفضيلاتهم تجاه النسويات والشواذ على حساب باقي تفضيلات الجزائريين معتمدين مغالطات تحت أساليب "الوعظ الأخلاقي" والإكراه الأنثوي" بدلاً من أن يتكيفوا مع الهيئة العامة الحقيقية، وهذا سيولد النزاع والصراع، فتقترح الفلسفة الملكية الحوار الموضوعي من أجل التفاوض على القيم والتفضيلات، أما الوعظ الأخلاقي -حينما

تتم ممارسته كمغالطة- فهو يصب في تعطيل سلوك الآخرين بما يفيد مصلحة الواعظ، و هذا ليس تبادليا.

- التبادل والتعاون:

يهدف الأفراد من خلال التعاون على تحقيق مصالحهم، ويجمع بينهم التبادل وهو ما يحرص على دوام التعاون والاستفادة بين الطرفين. إن التعاون إن لم يكن إلزاميا إلا أن الأخلاق إلزامية عند التعاون، وعندما يصبح طرف لا يؤدي مقابله للآخر و ينتظر من الآخر المقابل، فهذا يسمى "تطفلاً"، وليس من مصلحة أي شخص التعامل مع متطفلين. يتعاون الجنسان "الذكر والأنثى" من أجل تحقيق نفع مشترك، ومواجهة القوى العدوانية الطبيعية "تحديات البقاء - المرض - الحرب - الجوع... الخ"، وكذلك الاستثمار "الاستثمار في الأبناء - في الأرض"، فتعتقد الكثير من النسويات أن الحقوق ذاتية وعلى المرأة أن تكتسب حقوقا لمجرد أنها امرأة!، بغض النظر عن (التقدير- التفضيلات- القيمة)، التي يجب أن تقدمها من أجل تحصيل المقابل، وهذا يتعارض مع التبادل واللاتطفل كأخلاق موضوعية، فمثلا كيف يمكن لشخص أن يتحصل على التقدير من الغير إن لم يقم هو نفسه بتقديم التقدير الكافي لهذا الغير؟ فادعاءات اللبراليين أن الحقوق مسألة "فطرية"، "بديهية" وفقط، ليست سوى محاولات ذات نزعة قديمة تتبنى المثل المسيحية للحصول على خدمات من دون مقابل في الحقيقة. إن جدال النسويات، واللبراليين، حول الحقوق، هو محاولة لفرض طريقته وتبريرها، وشرعنتها، دون دفع ثمن وتكلفة.

- اللاعدوان مقابل اللاتطفل:

إن اللاعدوان هو "منفعة"، ولا شيء يدفعنا لتقديم هذه المنفعة بدون مقابل من الغير، وهو "اللاتطفل"، فنحن لا نتعدى على الآخرين لأنهم لا يتطفلون علينا، أو يقدمون ضمانات بأنهم لن يفعلوا ذلك مستقبلا، -والطفل هنا بمعناه الشامل-، بينما إن لم نتأكد بأننا لن نحصل على هذه المنفعة، أي "اللاتطفل" والتدخل في شؤوننا بمختلف الأساليب وفي كل المجالات، فمن غير التبادلي إذن أن نقدم لهم منفعة "اللاعدوان". فمثلا تتمسك الجزائر بمبدأ "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير"، هنا تقترح الفلسفة التملكية "أن عدم التدخل في شؤون الغير يجب أن يقابله الحصول على ضمان أنه لا أحد بدوره سيتدخل في شؤوننا الداخلية".

- المنطق الثلاثي للتعاون:

نختصر المنطق الثلاثي للتعاون في القول بأن تفضيل التعاون على اللاتعاون يجب أن يخضع لمبدأ العصا والجزرة، أي أنه إذا قمنا حقا بالتعاون فسنحصل حتما على قيمة مضافة، وإذا لم نتعاون فلن نحصل عليها. وإذا كان هناك تعاون ولكن لم تكن هناكقيمة مضافة فهذا يعني أن هناك تطفلاً وعليه فهذا ليس تعاوناً. وهنا سيصبح التعاون أفضل من اللاتعاون في حين أننا بدورنا يجب أن نملك ما نهدهد به لكي يصبح التعاون بيننا أفضل من الصراع معنا.

والآية القرآنية القائلة: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ثرهبون به عدو الله وعدوكم) يمكن الاستنباط منها أن جعل الآخر في رهبة يمكنه أن يحد من عدوانه مقابل التعاون في إطار أمني لتحقيق أمنه وأمننا. في الحقيقة هذه مسائل بديهية في العلاقات الدولية ولكن بعض الإنسانويين يقومون بإلقاء نوع من الخطابات المغلوطة تم توجيهها مسبقاً لكسر منهج إعداد العدة.

ج. 2. الاختبارات التملكية:

من أجل تشريح المقترحات والادعاءات الخاطئة، تقترح الفلسفة التملكية عدة اختبارات من أجل التحقق من التناسق الداخلي فيها والتفوق الخارجي لها:

- الهوية و عدم الخلط:

بكل سهولة يمكنك إيجاد أمثلة عن الخلط، ومغالطات رجل القش، والمصادرة على المطلوب، وغيرها. فمثلا: إن الهوية البربرية ليست هي "الزواف"، والعربية ليست هي بالضرورة "الأعراب" بالدلالة السلبية، وغيرهما من الأمثلة.. إذ يعتمد بعض المتعصبين الضعفاء إلى الخلط بين المصطلحات ليمارسوا ضغطا نفسيا على الناس، بمعنى أنه إذا لم تكن معنا ضد أمر معين يخص الوطن، فهذا يعني بأنك زوافي تؤدي دور المرتزقة الذين استخدمهم الاحتلال، أو أنه إذا كنت تحترم اللغة العربية والعرب أو الدين فإنك متخلف أو من الذين هم أشد كفرا ونفاقا من الأعراب، كذلك يفعل بعض المتطرفين حينما يزعمون أن كل شخص ليس مع مقترحاتهم هو بالضرورة خائن، لأنهم ببساطة يخلطون بين التجمهر والحراك لأغراض تطفلية، فتقترح الفلسفة التملكية ضرورة وضع تصور واضح لهوية المقترحات.

- الإمكانية الوجودية:

بعض المقترحات حقا تملك تصورا واضحا، ولكن هذا لا يكفي، لأنه يجب التأكد من إمكانية تطبيقها والتحقق من النسبة بينها وبين الواقع، كالتشيوعية، والإنسانية، وغيرهما. وواقعيا يمكن ضرب مثال من واقعنا: فمشروع السكن الجزائري يحاول أن يأوي الجميع عن طريق بناء سكن لكل محتاج، ومحاربة الأحياء القصديرية، وكأنه من الممكن تطبيقيا أن يوفر باستمرار وإلى ما لانهاية سكنا بلا تكلفة لكل محتاج وأن نملكه إياه، فمع النمو الديموغرافي سنتعين علينا تكلفة أكبر، وسنعاني عجزا طويلا المدى، ولا يفهم من خلال هذا أننا ضد إيواء الناس كما قد يتصور أحدهم بسوء فهم، وإنما فقط مع إيوائهم بطريقة ممكنة وبحل دائم لا يجعل مؤسسات الدولة من جهة في حالة عجز ولا المواطن في حالة إرهاق دائم في جريه وراء هذا الموضوع، إذ يمكن تحقيقها مثل معالجة مشكل النزوح الريفي، وتشجيع الاستقرار والاستثمار في الهضاب والجنوب، وتشجيع التكافل الاجتماعي مثل نظام العروش الذي كان يأوي الجزائريين.

- تحسين السلالة أو الإخلال بها:

إن السياسات إذا لم تعنى بتحسين السلالة والعناية بالأجيال فهي أشبه بالأفيون، ولذلك نؤكد على ضرورة التخطيط الاستراتيجي من أجل معرفة أثر سياستنا الحالية على الأجيال المستقبلية، كمثال: لقد نقلت سياسة الاشتراكية السابقة إلى الأجيال الحالية، الإتكالية، وفقدان الحافز والإبداع، ضعف قطاع الصحة والتعليم.. الخ. وهي حقا تكلفة باهظة لسياسات سابقة نعانيها اليوم، إضافة إلى تكاليف قادمة ستأتي إذا لم تُعدّل السياسات وفق الكفاءات لا الإيديولوجيات، وتراكم التكاليف لا يحمل أخبارا سارة بالطبع، إذ قد تفقد نحو الهاوية.

- الأخلاق:

تقترح الفلسفة التملكية التبادل اللاتطفل كأخلاق موضوعية، وحتى لو أن شخصا أراد الاستمرار في التعاون مع متطفلين غير تبادليين -أي غير متعاونين عن حق وحقيقة-، فإنه سيصل إلى مرحلة يعجز فيها عن التعاون، وإن فهم التعاون بطريقة مفصلة أكاديمية ليس إلزاميا بينما الأخلاق هي الإلزامية عنده. وفي سياق كلامنا السابق حول التعاون، فإننا نثق بأنه قد يمكّن الجزائريين مستقبلا من تجاوز خصومات، لن يستطيع "التفكير بالتمني" أن يتجاوزها لأنه يضيّع علينا وقتا ثميناً.

- المحاسبة الكاملة:

قد تُقدّم بعض السياسات والمقترحات على أنها الخلاص، دون ذكر تكلفتها أو ما تترتب عليه هذه السياسة "تضحيات- نفقات- أضرار... الخ"، وهنا تقترح الفلسفة التملكية أن يكون من الملزم الحديث عن التكاليف المترتبة وما الذي تم إعداده لها. ويمكننا ملاحظة أن الإسلام مثلاً فكان من البداية مباشرا في هذه القضية، حيث يتكلم بكل وضوح وشفافية عن التكاليف البدنية والمعنوية بل وقيّمها بأرقام واضحة في عدة مواضيع -كمقدار الزكاة ومدة الصيام.. الخ-، مما ساهم في جعله واقعيًا لأنه يتماشى مع المنطق المحاسباتي للنشاط البشري.

ج. 3. نموذجنا الحضاري: نحو قاعدة فكرية جزائرية:

لقد تم تقديم الفلسفة التملكية السابقة كاقترح هام ومعاصر لنموذج تحليلي غربي علماني يواجه نفس المناهج والنماذج الغربية، أي مخاطبة الرؤية الكونية للآخر بنفس منطلقات هذه الرؤية لكشف مغالطاتها ووضع تصويبات فكرية لها. ولكن هذا لا يعني سوى تقديمًا جديدًا لفلسفة غربية معاصرة كانت كتجربة صاغتها أزمات ودوامات ما بعد الحداثة الأوروبية، يمكن للجزائري أن يعرف بواسطتها كيف يواجه نفس الرؤى الغربية من جهة، وقيمة نموذج الحضاري وضرورة تشكيل فكره الذاتي من منطلقات المدرسة الإصلاحية الجزائرية بعمقها الحضاري وبمختلف مشاربها من جهة أخرى.

إن الجزائر قد انطلقت للتو وتنتظرها حضارة مدنية عالمية جديدة وأمامها عصر متغير، ومن أجل اقتحام عقبات هذا التغيير والتحول إلى موقع الفاعل الحر، فإننا أردنا اقتراح هذا المشروع كفكر موحد في ظل التنوع، ينطلق من نظريات لها عمق حضاري و منطلق تاريخي، مع صد العدوان، والطفيليات الشمولية، واقتراح يواكب العقل المعاصر، لأن هناك تجاربا قبلنا قد عانت من طفيليات ما بعد الحداثة وتعرفها جيدا، فنحن نترتب علينا ضرورة الاستفادة من تلك التجارب ومواجهة تحديات العصر لتحقيق وجودنا التاريخي والفكري والاقتصادي والاستراتيجي وفق نموذجنا الذاتي.

3- المحور الثالث: ملامح اقتصاد جزائري معاصر.

في إطار تطوير القطاع وجب علينا الرفع من معاملات نجاح أي مشروع للتقليل من مخاطر فشله من جهة، ومن جهة أخرى محاولة ضمان نجاحه بتوفير البيئة الملائمة لتطويره وازدهاره. لذا ارتأينا وضع الملامح العامة للرؤية الاقتصادية المبنية على "حاجيات المجتمع، وإمكانيات الدولة" بشكل يساعد في صياغة مفهوم حول مستقبل الجزائر اقتصاديا.

أ. الصناعة:

يعتبر القطاع الأضخم بحكم المكونات المادية والعلمية المتضمنة فيه، وأحد أهم الأعمدة الاقتصادية، الجزائر بإمكانها تحقيق نجاح مبهر في هذا القطاع خصوصا مع التطور الصناعي الحادث وانتشار التكنولوجيا مما يسمح بتطوير الصناعة الوطنية وتوسيعها لتشمل كل المجالات باستمرار إنطلاقا من رقمنة القطاع لإعادة هيكلته إلى صياغة نموذج مبني على التشابك الصناعي لتكوين الأرضية اللازمة وفق مبدأ الرفع المتكافئ للفرص وباستغلال أمثل للمتاح. حيث تتعدد حاجيات الجزائر في هذا القطاع بشكل كبير باعتباره المسؤول عن تجهيز أغلب المصانع بالآلات والتقنيات اللازمة، فكيف يمكن لدولة كالجزائر تزخر بالمعادن على اختلاف أنواعها و كمياتها أن ترضخ لاستيراد الماكينات عوض تصنيعها داخليا والانطلاق في تصديرها في ظل وفرة الموارد محليا و انتشار التكنولوجيا والتقنية حول العالم. ومن جملة الخطط الملزم تنفيذها لإنعاش الإقتصاد الوطني صناعيا هي الشراكة الأجنبية بشرط توازنها (بين الشرق والغرب) مع الاعتماد على الكفاءات الوطنية في تصنيع الماكينات الضخمة الخاصة بالمصانع (من آلات ميكانيكية وتوربينية وكهرونووية)، إضافة إلى تجهيزات البنى القاعدية من السكك الحديدية والبواخر بكافة أصنافها والطائرات والتي تعتبر وسائل نقل ضرورية بعد النجاح المحقق في مصانع الحافلات والسيارات (من نوع صوناكوم ومرسيدس مثلا). إضافة إلى التجهيزات الضرورية في باقي القطاعات من المضخات الضخمة وتجهيزات التعدين ومصانع الأسمدة والبيتروكيماويات وصولا لآلات البناء الضخمة وآلات الزراعة الحديثة.

كما يستوجب علينا الاستفادة من خبرة المؤسسة العسكرية الجزائرية في الصناعة الميكانيكية لإنعاش ما تبقى من المؤسسات الصناعية الوطنية وخلق قيمة مضافة تعود بالنفع على الخزينة العمومية.

إضافة إلى نقطة مهمة وجب التنبيه لها وهي أن التوصيات بإدراج تخصصات جديدة وجب أن تنبثق من ورشات بين الجامعات و الشركات، عمومية كانت أو خاصة، تكون لضمان توفير فرص شغل تقاديا لهجرة الأدمغة والبطالة المستقبلية. وعلى مستوى آخر فيمكننا أن نطرح مجموعة من الأنظمة الحديثة والتي تسمح بتحسين الإنتاجية وتسريع دورات التحكم والتي تمزج بين الكفاءة العالية في الأداء وتكنولوجيا المعلومات، ومن ضمن تلك الأنظمة توجد أنظمة التصنيع المرنة (FMS) وأنترنت الأشياء (IoT) وتقنيات التصنيع الماهرة لإدارة البيانات الكبيرة وتقنيات الذكاء الاصطناعي والآلات الذكية للتحكم في خطوط الإنتاجية إضافة إلى أنظمة التحكم الحديثة في السكك الحديدية والمطارات والبنى الاجتماعية الأخرى مما يفتح المجال لكل القطاعات بتطوير الصناعة المحلية وتخفيض ميزانية الدولة في مجالات عدة ورفعها في مجالات أخرى تستوجب تطويرها (حسب الحاجيات الأولوية).

ب. الزراعة:

القطاع الحائز على أكبر نسبة عمال في العالم بما يقارب 42% وهو عملية إنتاج الغذاء، والعلف، والألياف عن طريق تربية النباتات والحيوانات. حيث ترتبط الزراعة بحياة وتطور الجنس البشري مما يجعلها ذات أهمية بالغة ومتزايدة بتزايد الأحياء، فلا يمكن الاستغناء عنها، ومع التطور الحاصل في هذا المجال وصعوبة الوصول إلى الاكتفاء الذاتي وتحقيق الأمن الغذائي في ظل العشوائية التي تعيب كل الإصلاحات في القطاع، فلا بد من تقديم مجموعة من النقاط الهامة تسمح بهيكلة القطاع وتطويره ليكون أحد أفضل القطاعات التي تميز الجزائر، منها:

أولاً: وضع خطة لوقف استنزاف الأراضي الصالحة للزراعة عن طريق إحصاء الأراضي وفق نظام رقمي. **وثانياً:** تنفيذ إجراءات تكثيف النظام الزراعي الذكي الذي يسمح باستصلاح أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الصحراوية. **وثالثاً:** تطوير أنظمة الري -مثل تقنيات النانومتر- فضلا عن تحسين خواص الأتربة. **ورابعاً:** تكثيف زراعة النباتات المستدامة. **وخامساً:** إعادة تدوير المواد العضوية كالأسمدة الطبيعية واستخدام التكنولوجيا الحديثة لزيادة الإنتاجية الزراعية و تقليل الضرر بالبيئة كالأسمدة النانومترية مثلا والتي قد دخلت الدولة المصرية في مرحلة تصنيعها. **وسادساً:** نقل الفصائل الحيوانية ذات القدرة الإنتاجية كبيرة ومساعدتها على التكاثر. **وسابعاً:** إنشاء مركز متخصص في الهندسة الوراثية للنباتات والحيوانات لأجل تحسين مستمر للبذور والفصائل الحيوانية ولكي يكون منافسا للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالشراكة مع دول أخرى. **وثامناً:** وضع برنامج لفحص وتصنيف

المنتجات وتسويق الفائض منها وفق سعره في السوق العالمية، مع استغلال أمثل للإعلام لإشهاره ورفع الطلب عليه وفق سياسة اتصالية مضبوطة، بشرط أن يكون المنتج وفق التصنيفات المتعارف عليها دوليا لتفادي السقوط في فخ الجودة. وتاسعا: نقل تكنولوجيات إدارة الحظائر من الدول المتطورة في هذا المجال من أجل إحصاءات صحية أكثر دقة للماشية مثل تقنيات الاستشعار.

ج. المؤسسات الصغيرة والصغيرة والمتوسطة والناشئة: نحو اقتصاد المعرفة

تعتبر هذه المؤسسات المحرك الفعلي كأحد أقوى أدوات التنمية الاقتصادية في العالم لقدرتها على المزج بين النمو الاقتصادي وخلق مناصب عمل إضافة إلى دورها في التكامل بينها وبين المؤسسات الكبرى من حيث إمداداتها للسوق الوطني من المنتجات النصف مصنعة والتامة الصنع والجديدة والمبتكرة لخلق قيمة مضافة ومن أهم مميزاتها هي هيكلتها المرنة وقدرتها على التكيف مع السوق خصوصا في الوضع الراهن في ظل انعكاسات الأزمة الوبولوجية لوباء "الكورونا- covide 19"، و الذي تسبب في إفلاس العديد من المؤسسات العالمية وتسريح عدد كبير من العمال مما يشير إلى ظهور آفاق جديدة وواعدة للاستثمار في هذه الأنواع من المؤسسات وتطويرها مستقبلا لتكون أحد أهم الفواعل في الإقتصاد الوطني.

وقد تتجلى نقاط ضعف هذه المؤسسات في سوء استخدام التدفقات المالية من جهة وفي ضعف التكوين والتأهيل للملائمين لمبدأ استغلال الفرص من جهة أخرى. كما تتوجب الإشارة هنا إلى ضعف البنى القاعدية التي تسمح بتنقل سلس وسريع لمختلف السلع داخليا وخارجيا (القطارات والطرق السريعة والموانئ... الخ). لذا فتجب الإشارة إلى ضرورة استغلال مصادر التكنولوجيا عالميا لتكوين أقطاب صناعية ذكية -فالأزمات هي فرص- وتسريع نموها بما يدفع إلى التجديد الإقتصادي مع الاستفادة من الكفاءات الوطنية داخل وخارج الوطن للتأطير والتأهيل، وبالأخص أن اقتصاد المعرفة الذي يعتمد أساسا على الابتكارات المحلية والإبحار الشبكي إلكترونيا هو العصب الأساسي للاقتصاد الذكي. إضافة إلى الهيكلة المرنة لهذه المؤسسات التي تسمح لها بالتطور في أي مكان مثل المناطق النائية لتستفيد في إطار نموها من ضعف المنافسة من أجل تحسين منتجاتها وكذا الاستفادة من إفلاس الكثير من الشركات الأجنبية لخلق شركات جزائرية جديدة منافسة في السوق الوطنية تمهيدا لتعويض الفراغ الذي تركته الأخرى المفلسة.

د. التجارة الخارجية:

بوجه عام هي عملية للتبادل التجاري بين الدولة و العالم الخارجي. وهي أيضا تطوّر للعلاقات الدبلوماسية لتشمل البعد الإقتصادي، وهذا راجع لعدم التوزيع المتكافئ لعناصر الإنتاج. لذلك، وفي هذا الإطار، لابد من استخدام العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الناعمة

التي نتمتع بها للدخول إلى أسواق مستهلكة جديدة مع استغلال مناطق التبادل الحر بداية من الدول المجاورة إلى أن تشمل عدة مناطق كبرى في القارة الإفريقية، فالمتغيرات العالمية اليوم -خصوصا مع ارتفاع الطلب العالمي- تشير إلى ضرورة خلق توازن في علاقاتنا الاقتصادية بين كل الأطراف والاستفادة من منافساتهم عن طريق مشاريع بالشراكة تعود بالنفع على الاقتصاد الوطني لتفادي السقوط في فخ الاحتكار -سواء احتكار السلع أو احتكار التكنولوجيا-، من أجل تطوير البنى القاعدية وتنويع صادراتنا خارج المحروقات ورفع الطلب على العملة الجزائرية وكذلك لاستهداف الأسواق انطلاقا من عدة عوامل أهمها الرقعة الجغرافية (قريبة- بعيدة)، والزمن المستغرق لوصول المنتجات الوطنية لهذه الأسواق. ففي ظل وجود البنية القاعدية التي تسمح بذلك يمكن تحقيق الإستغلال الأمثل للفرص حسب حاجيات ومتطلبات السوق الخارجية (مواد غذائية، مواد صيدلانية، مواد بناء... الخ) مما يفتح أبوابا جديدة لتعزيز العلاقات مع هذه الدول في إطار "الدبلوماسية الاقتصادية"، ودفع عجلة التنمية خصوصا في دول الجوار، وهنا نشير إلى أهمية دور "الوكالة الوطنية للتعاون الإفريقي- ALDEC" المنشأة حديثا، بما يخدم أيضا تفعيل العمق الإستراتيجي للدولة الجزائرية في بعدها الاقتصادي.

4- المحور الرابع: الجزائر والمستقبل، تفكيك المسار الاستراتيجي الحرج. أ. الزاوية الأولى: العلاقة الحرجة بين الحراك الجزائري والاستعمار التقليدي.

- مشروع يولد من رحم الأكاذيب:

من أجل فهم ما يحدث مع الجزائر اليوم من تغيير حتمي، وما الذي حدث لليبيا بالضبط منذ سنة 2011م، وما حدث لتونس ومالي والنيجر ومصر، ولكي نفهم كيف نتحرك، فلعد إلى ثلاثين سنة مضت ولنقرأها من زاوية (النظام العالمي الجديد) منطلقين في ذلك من الخطاب الشهير للرئيس الأمريكي الأسبق (جورج هربرت والكر بوش) بيوم 11 سبتمبر 1990م ولنركز جيدا في جملته: (وإن هدفنا الخامس هو: إقامة نظام عالمي جديد).. ولتوقف هنا بالذات دون الالتفات لما ستليه من كلمات أخرى في ذلك الخطاب حول العدالة والحقوق والإنسانية والحرية فهي كلها ليست سوى سلع للتجارة السياسية وذريعة إستراتيجية وها نحن ذا قد رأينا ذلك مؤخرا ولا زلنا نراه اليوم، فكما قال النائب البريطاني من حزب العمال (دينيس هيلي) قبل سنوات طويلة: "إنّ النظام الجديد يولد من رحم الأكاذيب".

- القطع المُخَّخَة مُتراصة، والماهر من يستبق النوايا:

إن تغيير ليبيا بأي طريق كانت، سينعكس على الجزائر ومصر تلقائيا -أكبر كتلتين ديموغرافيتين وقوتين عسكريتين في شمال إفريقيا مجاورتين لليبيا- بحكم الحتمية الجيوبوليتيكية، ومثلما أن تغيير مصر -وقبلها العراق- يستهدف تغيير خارطة الشرق الأوسط باعتبار أن لمصر خصوصية جيوبوليتيكية في منطقتها مادامت هي الرابط بين

قارتي آسيا وإفريقيا، فإن تغيير الجزائر يستهدف تغيير الإقليم المغاربي أيضا، وتغيير الإقليم المغاربي يؤدي لنتيجتين: الأولى لصالح الناتو في الشمال بحكم القرب الجغرافي، والثانية تغيير الإقليم الجنوبي المتمثل في الساحل كله بحكم الجوار، فتغيير إقليم الساحل يغير غرب القارة الإفريقية المطلة على المحيط الأطلسي أيضا. ولقد تولى الكيان الصهيوني تغيير شرق القارة من بوابة إثيوبيا والسودان، فدعم مشروع سد النهضة لخنق مصر في مجالها الحيوي المتمثل في النيل، ودعم الانفصال في السودان لقطعها عن عمقها الإفريقي المتمثل في الجنوب. وتولّى الناتو مهمته بقوة من الشمال الإفريقي -أي ليبيا-، كما تولّت قوات الأفريكوم تغيير وسط القارة وغربها. لقد كان الليبيون أضعف من أن يواجهوا بمفردهم زخم (مشروع النظام العالمي)، وللأسف أيضا، أكثر جهلا لمركزية دولتهم في محيطها، أما باقي العرب وبعض نخبهم السياسية المزيفة ومجتمعاتهم المدنية فكانت أجهل من أن تدرك طريقة تسيير المرحلة بدقة وذكاء، أما الحكام فقد وقعوا في فخ الاستدراج بالإغواء ثم التحطيم الشامل حتى وصل الأمر إلى قتل رئيسين منهم لحد الآن وهما (معمر القذافي في ليبيا وعبد الله صالح في اليمن)، وعزل ثلاثة آخرين وهم (بن علي في تونس، وحسني مبارك في مصر وعبد العزيز بوتفليقة في الجزائر). ولكن خصوصية التغيير في الجزائر تمثلت في الطريقة الفريدة من نوعها في التعامل مع الحتمية التاريخية، إذ يبدو أنه قد استبق الجيش الجزائري كل التوقعات وانخرط في العمل بعد قراءة دقيقة لمنطلقات النظام الدولي الجديد ومتغيرات النظام العالمي التي وصل إليها، فلا هو أراد الوقوع في فخ "الانقلابات الداخلية" من جديد والفوضى الشعبوية، ولا في فخ فتح المجال لـ"التدخلات الخارجية"، بل جمع بين الهبة الشعبية والإزالة السلمية لركائز النظام السياسية والأمنية والقضائية والمالية دون انقلاب، فحقق ديناميكية فريدة من نوعها في التعامل مع التغيرات الداخلية والمعطيات الخارجية واستطاعت نخبة ذات كفاءة من الشعب الجزائري رغم كل الاختلافات الفكرية والسياسية فيما بينها أن تتعلم من دروس الدول الأخرى لتنتشر التوعية وتضع الحدود الكبرى للعمل السياسي السليم مهما كانت الخلافات في بعض الجزئيات، ومع ذلك فلم تقم النخب الأخرى الموازية إلا بالحركة المضادة سواء بخبث شديد من أجل تحقيق نفس السيناريو الذي كان موضوعا للدول الأخرى وفق مفهوم (الفوضى الخلاقة)، أو بجهل شديد وفق مفهوم (إعادة خلط الأولويات).

ومهما يكن من أمر، فالعمل كله للنظام الدولي كان قائما على تغيير خارطة العالم -ليست بالضرورة الخرائط الحدودية للدول، بل بالدرجة الأولى الإستراتيجية-، وكانت قارة إفريقيا من بينها فتم وضعها في (كماشة ثلاثية الإغلاق): الكيان الصهيوني شرقا من بوابتي إثيوبيا والسودان ثم تحطيم مصر، والناتو شمالا من بوابة ليبيا ثم تحطيم الجزائر، وقوات الأفريكوم في الساحل والجنوب الغربي عبر بوابتي مالي والنيجر لتحطيم مشروع (الإيكواس: دول غرب إفريقيا. فنجحوا في الجهة الشرقية، ثم نجحوا في جهة الساحل، ثم نجحوا أيضا في الجهة الجنوبية الغربية بحيث عطلوا مشروع

الإيكواس لعدة سنوات.. ونجحوا شمالا في تحطيم ليبيا.. ولكن دائما توجد انفلاتات تخرج من تقدير الإنسان وتخضع للقدر فقط، ألا وهي: أن مصر لم تتحطم إلا نسبيا في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ولكن تبقت لها قوة داخلية للعودة مجددا، والجزائر استطاعت قراءة خيوط العنكبوت فتجاوزتها عبر مشهد الحراك، أما منظمة الإيكواس فقد استطاعت المضي قدما في التنسيق فيما بينها واستطاعت دولتين إفريقيتين أن تتخلصا من قبضة الهيمنة نسبيا والسير في طريق جديد وهما (نيجيريا وغانا)، والدليل هو ما حدث من تجاذبات بين هاتين الدولتين وفرنسا في صيف 2019م حينما بدأ العمل على وضع الرتوشات النهائية لمشروع عملة (الإيكو) المشتركة تعويضا لعملة المستعمرات الفرنسية (سيفا).. ويمكن التعبير عن هذه الانفلاتات هنا وهناك، أي انتشار الفوضى المطلقة التي أطلقت سلسلة اضطرابات خرجت عن السيطرة في جهات، وتحرر دول معينة من هيمنة بعض الدول الغربية في جهات أخرى مستغلة تشتت الدول الكبرى والعظمى بقضايا متعددة، بالتعبير الذي قاله وزير الخارجية الأسبق في زمن الرئيس جورج بوش (لورنس ايجلبرغر) حينما قال معترفا: "إن العالم تسوده الفوضى إلى حد كبير وإنه يُخشى أن تكون الأوضاع العالمية متجهة نحو الأسوأ وأن الوضع الحالي قد أطلق سلسلة اضطرابات في العالم كانت تحت السيطرة في ظل الثنائية القطبية". إذن فهناك على الأقل خمسة دول كبرى حاليا في إفريقيا هي القادرة على وضع الخطوط الكبرى فيما بينها من أجل تحديد مستقبل القارة السمراء في نظام عالمي متشابك الفواعل، ألا وهي: (الجزائر، مصر، غانا، نيجيريا، جنوب إفريقيا).. ثم مستقبلا قد نشهد صعودا ملحوظا لرواندا في الوسط وإثيوبيا في الشرق للتأثير بشكل أكبر على موازين القوى. قبل أن تلحقها قوات أخرى لدول جنوبية.

- الأوراق المتوفرة على الطاولة:

وأما التحدي الكبير للجزائر اليوم فهو تفكيك (الغم الليبي)، فهو ليس مجرد لغم يحتوي على انفلات أمني لأسباب سياسية بسيطة يتقاتل من أجلها بعض المتقاتلين، بل هو (ملف مخابراتي ومشروع عالمي) قد انكشفت فيه أسرار دول (حليفة وعدوة وشقيقة ومجاورة)، فأنت (الهرولة الدبلوماسية) منذ شهر ديسمبر 2019م من حكومات تركيا ومصر وليبيا وإيطاليا وألمانيا وستأتي من غيرها أيضا عن قريب رغم أن الجزائر نظريا لم تقل شيئا في 2020م سوى تكرار نفس خطابها في 2011م، وهو: "أنها تدين كل أشكال التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للدول مع تشديدها على أنه لا حل في ليبيا سوى الحل السياسي السلمي وأن يكون الحل الليبي-ليبي وبين أبناء البلد الواحد مع الحفاظ على الوحدة الترابية للبلاد وسيادتها".. إلا أن السؤال هنا: ما الذي تغير اليوم حتى تكون ردة الفعل الدولية تجاه الدعوة الجزائرية بخصوص الأزمة الليبية مخالفة لردة الفعل المتجاهلة سنة 2011م رغم أن الدعوة هي نفسها والكلمات هي نفس الكلمات؟! إن الجواب الأكثر احتمالا هو لسببين: أولا: أن الجزائر بمخابراتها قد أمسكت جيدا بالخيوط العنكبوتية الخفية للملف الليبي طيلة هذه

السنوات التي شهدت فيها متغيرات حادة وسريعة وتورط عدة أطراف فيه، وعرفت جيدا خلفياته العالمية فصارت اليوم في موقع قوة مهابة تعدُّ العدة وتستيق النوايا. وثانيا: هو تكبد المتورطين في هذا الملف خسائرًا مالية وبشرية ومادية جمّة. أما الطرح القائل بأن الشيء الذي تغير اليوم ليس سوى أن العالم قد تأكد أخيرا من صحة الطرح الجزائري بضرورة السلمية وأنه يعترف لها بذلك، فهو طرح سطحي جدا لأن تلك الدول لديها خبراؤها الإستراتيجيين الذين كانوا يعرفون نتائج الحرب في ليبيا حتى قبل خوضها، ومنه فإنهم لا يحتاجون لدروس في ضرورة الحل السياسي أصلا لأنهم يعرفونه ويدركون أهميته. وعليه، فإن معرفة الملامح العامة لموقع الجزائر الحقيقي في إفريقيا، وموقع إفريقيا من النظام العالمي، ثم الربط بين ما يحدث خارجيا مع ما يتغير داخليا، هو ما سيحقق التوازن بين الحركية الداخلية والخارجية حتى لا نقع ضحايا للاختطاف الذهني والاستلاب الفكري والسذاجة السياسية.

- التنازل جزء من الصعود للنصر:

في لعبة الشطرنج.. تجد أن اللاعب يقدم تضحية ببعض بيادقه في أماكن مُرَكَّزة لكي يجعل الخصم يتموضع بطريقة معينة، ثم ينقضّ عليه ببندق واحد ويصل إلى الخط الخلفي للخصم بما يمكنه من السيطرة الواسعة. فظاهريا قد تبدو بعض التنازلات هزيمة، ولكنها تكون مجرد خطة للنصر. كذلك يفعل الدهاة الإستراتيجيين، سواء في السياسات العامة الداخلية أو السياسات الدولية الخارجية، يمنحون لخصومهم شبه نصر وهمي في رقعة محددة ومحدودة مسبقا ثم يسحبون منهم الميدان كليةً. فمثلا: حينما ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة لأعدائه كانوا يظنون أنهم قد قضوا عليه.. وحينما أقام صلح الحديبية ظن بعض أصحابه أنها هزيمة فلم يتجرعوها.. ولكن في الحقيقة ما تركه لخصومه ظاهريا كان تمهيدا لاستدراجهم من حيث لا يعلمون.. فطمعوا وطمعوا حتى حفروا قبورهم بأيديهم، فاسترجع كل شيء وصارت مكة والمدينة ونصف العالم تحت ظلال مشروعه. كذلك هي طريقة مواجهة الأعداء والخصوم، فإن ترك الميدان فارغا في بعض جوانبه وترك الأطراف الأخرى تهرول إليه سيجعلها تكشف أسرار مشاريعها وتُظهر نياتها جيدا ثم تقع في الفخ مما يتيح إمكانية الحسم بالنسبة لصاحب الخطة بحيث أن تنازله الظاهري كان مجرد خطوة من خطوات الصعود الحقيقي.

ب. الزاوية الثانية: الحقيقة الإستراتيجية للمشروع الانفصالي.

- تمهيد:

لقد تعرض الشعب الجزائري لأكبر انقلابين تاريخيين في القرنين الماضيين.. الأول كان تعرضه لأول مرة إلى (الإستعمار)، فانقلب تاريخه -ثقافةً وسياسةً وتوجُّهاً- رأسا على عقب ودخل فيما يسمى "بالوجهة الثالثة في التاريخ" بصيغة الأستاذ (مالك بن نبي)، وهي وجهة

"الإستعمار في حد ذاته كاستعمار وجودي". والانقلاب الثاني كان (الإرهاب)، وهي الظاهرة التي عرفها الشعب وجربها لأول مرة كذلك وأثّرت تأثيرا عميقا على وجوده في كل المستويات السياسية والفكرية والثقافية.

واليوم يتجهز الشعب الجزائري إلى (الانقلاب التاريخي الثالث)، وهو صنع تاريخ جديد مستقل تماما عن حدّين خطيرين: الإستعمار الخارجي، والإرهاب الداخلي. ويبدو أن (الحراك) اليوم باعتباره "حركة تغييرية شاملة وعميقة للمجتمع والدولة"، هو الصانع الرئيسي لهذا الانقلاب التاريخي. وهنا بالضبط نكون عند نقطة انعطاف هي الأخطر في تاريخنا المعاصر، حيث إما أن تكون هي الباعثة للأمة وإما الدافنة لها، إذ التجارب التاريخية الثقيلة كلها قد تجمعت بكل خبراتها وتجاربها وتراكماتها النفسية والاجتماعية والفكرية.

في هذه الحالة كان لابد أن نعرف بأن الإستعمار لا يخرج من الباب إلا ويعود من النافذة - بتعبير الأستاذ أيضا-، ولا يمكن له إلا أن يكون تحت تأثير "الحنين للإمبراطورية القديمة"، وهنا كان قد فكّر جيدا كيف يخطط لاستعمار الجزائر وباقي الإقليم المغربي من جديد ولكن من الداخل في حرب عالية المستوى من حروب الجيل الخامس. فكان أن تم صنّع وتجهيز واحتضان ودعم حركة سياسية ذات عنصرية قومية، وهي لم تكن مجرد تحصيل حاصل وإنما البذور الأولى لمشروعها يبدو أنها كانت جاهزة حتى قبل الإستقلال لأن كل السياسات الفرنسية الثقافية واللغوية والتنصيرية والإدارية والإعلامية كانت تشير إلى وجود استراتيجية دعم فئة ضد أخرى لاستغلالها من الداخل، فهي إذن نابعة من دراسة مفصلة للشعب الجزائري ولتركيبته القومية واللغوية والثقافية، فتم التركيز على منطقة القبائل وتحطيم كل قوة محلية أصيلة فيها من أجل فتح المجال للقوى الموازية منها التي تتبنى نفس المشروع الاستعماري، حيث كان أبناء المنطقة أول من اکتوى بالنيران الداخلية، ثم في الأخير يتم جعل هذه القوة الموازية مجرد أداة لمشروع أكبر، يشمل كامل الإقليم المغربي.

الآن وليكون الموضوع واضحا، فقد قام الاستعمار بدعم هذا المشروع - القديم في نزعته ورؤيته، الجديد في ظهوره وشعاراته-، بتأسيس تيار انفصالي بتواطؤ داخلي، من أجل جعله مقبولا شكلا، ومتوغلا مضمونا، فوضع عدة بيوض في عدة أحزاب وجمعيات ووسائل إعلام لتفقس بعد حين تيارا عرقيا يكون تابعا له فكريا وسياسيا وروحيا، غداؤه الحقد، ولذته التمزلم، منهجيته التحطيم الروحي، ووسيلته الإلحاد والعنصرية والمغالطة باللائكية. ولكن أيضا لابد من خطوات لتحقيق "عودة الاستعمار من النافذة"، وهنا بالذات وباستقراء الواقع خطوة خطوة، فسيبدو بأنه قد تم وضع هندسة المشروع التي تعكس دقة كبيرة وصبرا طويلا وبُعد نظر إستراتيجي ذكي جدا. حيث يمكننا فهم أن التخطيط مقسم إلى ثلاثة مراحل كبرى خطوات، غالبية الناس لم تلتفت سوى للمرحلة الأولى ووصفوها "بالانفصالية"، ولقد استثمر الانفصاليون -البيادق المتقدمة للاستعمار- في هذا المصطلح لثُشِثَت الأنظار عن

المرحلتين الثانية والثالثة، بل إن وصفهم بالحركة (الانفصالية) يعتبر شرفا لهم بسبب أن هذا الوصف سيجعل الجزائري العامي ذو نظر محدود لا يرى الأبعاد الكبرى للمشروع. فكأن كلمة (انفصال) ستحمي وستُخفي الكيان الحقيقي والفاعل الرسمي في الخفاء وهو (الإستعمار). إذن فقد تم الترويج لهم على أنهم مجرد (حركة انفصالية) لا تريد سوى التمتع (بالحكم الذاتي) والخروج من إطار الجمهورية الجزائرية والتوجه نحو الفدرالية عبر حجز قطعة كبيرة منها هي (منطقة القبائل) المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ثم الابتعاد عن البنية الحضارية والقومية واللغوية والثقافي والدينية والتاريخية والسياسية للجزائر وتأسيس كيان مستقل. وهنا بالذات أتى التخطيط للمرحلة الأولى، وهي ليست (الانفصال) كما يبدو، بل هي (الانكماش) تمهيدا لخطوات أخرى أكبر منها.

1- "استراتيجية الانكماش": (تأسيس جمهورية قومية):

قام مهندسو المشروع باللعب على وتر حساس جدا في المجتمعات، ألا هو وتر القومية واللغة، ثم ليكسبوا تعاطفا وهما تجاه هذا الأمر قاموا بتغليفه باسم ضعيف يعكس المسكنة هو (الأقلية).. إذن فتركيب الأمور مع بعضها سنكون أمام المعادلة التي قاموا بصياغتها وهي: (قبائل + أمازيغية = أقلية مظلومة). وهنا بدأت معادلة مشروع الجحيم.. فكل قبائلي يرفض هذه المعادلة الكاذبة أو يتفطن عقله لأبعادها الاستراتيجية، إلا ويروجون ضده بأنه ليس قبائليا بل مجرد (كابيليست، أو KDS أي قبائلي النظام -kabylyle de service-، عميل للنظام السياسي الجزائري) رغم أن الحقيقة تشير إلى أنهم هم (الـKDF، أي kabylyle de France-)، فصارت هناك حملات تشويه وتخوين وضغط تطل كل شخص من المنطقة إذا خالفهم في أمر ما أو نشر ضدهم إعلاميا أو وقف في وجههم فكريا وسياسيا. إذن فتهدف هذه الخطوة إلى جعل منطقة القبائل جمهورية في حد ذاتها، وذلك عبر إعلان استفتاء للانفصال يسبقه عمل إعلامي داخلي ودولي كبير لجعل المشروع يبدو كأنه أمر واقع، وفي ذلك يتم اللعب على العواطف وإبراز الخلافات السياسية كخلافات جوهرية ضد أبناء منطقة بعينهم مع فتح جبهات صراع متعددة (لغوية، عرقية، تاريخية، إيديولوجية...) من أجل التجهيز النفسي للمجتمع على تقبل فكرة (الانفصال) واليأس من الاتحاد.. أما حقيقتها الخفية فهي مجرد العمل على استقطاب القبائل في منطقتهم من جديد باعتبارها قبائلية بامتياز، وهذا يعتبر انكماشاً والتفافاً واتحاداً مصغراً لتحقيق الانفصال ثم إعلان جمهورية قائمة بذاتها - وليست مجرد إقليم فيدرالي كما يروج له-، أي لتصبح دولة مستقلة ذات سيادة ولو بعد حين. وهنا لن ينتهي الأمر، بل سيبدأ العمل الحقيقي، إذ هذا (المشروع) التابع لفرنسا تبعية مطلقة ذات الدعم والتمويل والاحتضان، سيكون كقاعدة فرنسية متقدمة وثابتة في شمال إفريقيا وبالضبط في قلب الإقليم المغربي بالجزائر. وبالطبع فإنه من المنطقي والواقعي أن الكيان الذي تلقى الدعم المطلق طيلة عشرات السنين لن يكون مستقلا عن الذي صنعه ومّوله، ولهذا فسيكون تحت سيطرته وطوع أمره تماما. وهنا بالذات ستأتي الخطوة الثانية.

2- "استراتيجية التوسع". (السيطرة على جمهورية الجزائر).

حينما وصل (هتلر) إلى السلطة في ألمانيا، قام بإطلاق الدعاية الشهيرة المتعلقة بالأقليات الألمانية في كل من الدول المجاورة، وذريعتة في ذلك أنها أقليات مضطهدة ولا بد أن تنتمي إلى الدولة الأم، وبسبب قوته العسكرية آنذاك فقد قررت عدة دول أن تنضم للإمبراطورية الألمانية الحديثة دون الدخول في حرب مباشرة معه حتى تتفادى الدمار. نفس الإستراتيجية التوسعية يمكن لمشروع الانفصال أن يعمل على تحقيقها. وهنا سيتساءل البعض باستغراب: كيف لجمهورية مصغرة لا تساوي شيئا في المساحة أن تتوسع على حساب دولة كبرى؟ فالجواب هناك وراء البحر، في فرنسا، بالضبط عند الترسانة العسكرية، إذ سذاجة التفكير هذه هي من جعلت البعض لا ينظر إلى البعيد وينخدع بخططهم، فكيف نسينا أن اليابان الصغيرة قد احتلت الصين الكبرى؟. فهنا علينا التفكير جيدا في هندستهم التي تقوم على الإجراءات الآتية:

- إقامة الجمهورية المستقلة ذات السيادة.

- تشكيل الجيش وتكوينه وتجهيزه بأحدث الأسلحة.

- دعم فرنسا لهذا الجيش بالأسلحة عبر طريقتين: إما منحها له، وإما تشكيل قاعدة عسكرية فرنسية هنا مسلحة.

- استغلال منصب فرنسا الدائم في مجلس الأمن رفقة كل من أمريكا وبريطانيا والصين وروسيا.. وهذا سيساعدها في كسب دعم بريطانيا وأمريكا لمشروعها مادامت تنتمي معهم لنفس التوجه الإيديولوجي إلى حد كبير.

في هذه الحالة فإن جيشا معيناً ولو كان صغيراً لجمهورية تابعة وجوديا للحليف الاستعماري مع كل قوته العسكرية وتجهيزاته التكنولوجية النووية والبيولوجية، ومع كل نفوذه الدولي، سيكون في مركز مؤثر حتماً بآتم معنى الكلمة لىفاوض الجمهورية الجزائرية من أجل ضم كل المناطق في الوطن باعتبار أنها تحتوي على (أقليات)، أي بنفس أسلوب النازيين قديماً - والذي من التوافقات التاريخية أن فرنسا قد عانت منه-، ثم سيخيرونهم بين الضم سلمياً أو التهديد أمنياً، وهنا بالطبع سيكون موازين القوى متلاعباً فيها بشدة. وهكذا نتحول ببطء من استراتيجية (الانكماش) إلى استراتيجية (التوسع).. فينتظن حينذاك الجزائريون وبالأخص من كانوا يُبدون نوعاً من التعاطف والسذاجة تجاه هذا المشروع مبررين ذلك بأنه لا تأثيره له وأن المنتسبين إليه هم قلة، بأنهم كانوا أجهل الناس من ناحية التفكير الإستراتيجي بعيد المدى. ولكن لسنا متأكدين إن كانوا سيكونون أحياء ليروا نتيجة سذاجتهم أم سيرَوْنها أبناءهم. إلا أننا متأكدون بأنه لن تكون هناك نتيجة أصلاً إذا تم تفكيك هندسة مشروع الجحيم الإستعماري من الآن وكشفه للعلن بدقة تضاهي أو تفوق دقة من خططوه أصلاً. إذن وبعد السيطرة على الدولة الجزائرية سنجد أنه قد عادت الخارطة من جديد كما كانت بعد التخلي

عن الحدود الوهمية لذلك (الانكماش)، وسيتم إعلان الاندماج مع فرنسا مباشرة مادامت هي صاحبة المشروع -بأي صيغة كانت وتحت أي ذريعة ولكن بشكل معاصر-. وهذا يعني بأن الطرح الانفصالي حاليا ليس سوى مرحلة من المراحل وخطوة من الخطوات وليس هو المشروع كله، أي أنه تمهيد ليس لنزع منطقة من الجزائر بل تمهيد لوضع فرنسا قدما ثابتة استعمارية في الجزائر من جديد. وعليه فإنه هنا يمكن ملاحظة أن نجاح المرحلة الأولى والثانية يعني بأن التركيبة الداخلية للدولة قد تغيرت تماما، فالمشروع ذو الفكر الإستعماري هو من يحكم باسم القومية، وأفكاره الإلحادية تحت ستار اللائكية هي من صارت دستوراً مفروضا على الدولة، وفرنسا الصانعة والداعمة هي من عادت من جديد لتكون حليفته عسكريا وسياسيا وإيديولوجيا. فيتم حينها إذن قلب كل كيان الدولة الجزائرية رأسا على عقب في خطة دقيقة طويلة المدى بدأت بمجرد منطقة وانتهت بدولة كاملة، أي أنه في نهاية المطاف لم تكن المنطقة سوى وسيلة وأداة وذريعة لتحقيق مشروع استعماري جديد وخبيث جدا، فقام أولا بتركيز نشر الفكر الإلحادي وقبله التنصير لنسف القاعدة الروحية للإسلام في كيان الفرد الجزائري هناك من أجل إضعاف مُستندِ الوجودي وجعله أكثر قربا للرؤية الكونية للاستعمار الفرنسي الذي بهذه الطريقة قد قام بحرب عالية المستوى ممزوجة بأساليب حربية من الجيل الخامس بحيث تُشرك فيها كل الأجهزة الإعلامية والمالية والثقافية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية. وقام ثانيا بنشر التفرقة الشعبية سواء عبر إعلامه الموجّه أو بُنْخَبِه التابعة له هنا.

بعد ذلك يحين الأوان للخطوة الثالثة والأخيرة، ألا وهي: "استراتيجية الإستعمار القومي"، حيث تستهدف ضم كل أراضي الإقليم المغربي من ليبيا إلى موريتانيا عن طريق التهريب أو الترغيب من أجل تشكيل دولة كونفيدرالية تحت مسمى شائع جدا ولكنهم حملوه عدة مغالطات سياسية وهو: "تامزغة الكبرى -GT"، إذ هو بناء على منطقهم يعتبر مشروعا سياسيا مبنيا على أساس قومي عنصري تتحكم فيه القيادة المركزية الفرنسية، فتحدث حينها أكبر عملية انتقام استعماري فرنسي في حق كل شعوب شمال إفريقيا دون تفرقة عبر فرض سيطرة تامة واقعية على مواردهم وأمنهم وإدارتهم تماما كما يحدث اليوم في مالي والنيجر لذرائع أمنية، ولكن الفرق فقط هذه المرة ليس بالحرب المباشرة، بل بصنع كيانات عنصرية تقوم بالوصول إلى مراكز القيادة وصنع القرار تكون تحت إدارة مطلقة من العنكبوت الإستعماري حيث في يده كل وسائل دعمها وتمويلها وتجهيزها وتسييرها، كيف لا وهو صانعها.

3- "استراتيجية الإستعمار القومي" (العدوان باسم تامزغة الكبرى)

يتم اللعب حاليا على وتر الحكايات القومية القديمة التي تعود إلى مئات ومئات السنين، ومن بينها حكاية تامزغة الكبرى. وبغض النظر عن جهل الكثيرين وتغافلهم عن المعطيات الحالية

لهذا العصر وغرقهم في خيالات الماضي ككل الشعوب المتخلفة التي انهزمت حضاريا، إلا أن هذا الخيال الذي بإمكانه دغدغة مشاعر الملايين وبالأخص إذا توفرت له شروطه المناسبة، ومع أخذ النشاطات المشتركة لمشروع الانفصال رفقة كل المنتمين لرؤيتها القومية في دولتي المغرب وليبيا ومعهما مالي وبعض المناطق الأخرى من الإقليم، فإن هذا يعني وجود تجهيز حقيقي للمسألة، حيث تُعتبر هي الخطوة الثالثة من خطوات مشروع الجحيم، إذ سيقوم قادة المشروع في حالة نجاحهم بالسيطرة على مفاصل الدولة الجزائرية ودغدغة مشاعر الكثيرين من الملاحدة والعنصريين الموالين لها بالدرجة الأولى، وباستنادهم إلى الدعم والتخطيط الفرنسي، إلى الدعوة -إما سلميا- من أجل توحيد كامل دول الإقليم المغاربي وفق رؤية قومية تحت مسمى (تامزغة الكبرى) على شكل كونفدرالية عنصرية تابعة إستراتيجيا لفرنسا، وإما عسكريا عبر التهديد الأمني المباشر المدعوم فرنسيا كذلك تحت ذريعة ضرورة ترك (الأقلية) تقرر اختيار مصيرها للالتحاق بتشكيل هذا الكيان الأكبر. بالطبع فإن هذا الكيان سيكون مثل باقي الدول.. نفس التعاملات السياسية والاقتصادية والديبلوماسية، إلا أن التغيير الذي سيطرأ سيكون اجتماعيا بالدرجة الأولى لأنه ذو نزعة قومية عنصرية إقصائية من الأساس، وسيكون ذو خلفية استعمارية بدرجة عالية، إذ حركات الانفصال عموما تجد الداعمين لها من المستعمر التقليدي لأرضهم أو العدو الاستراتيجي لدولتهم أو المنافس الجيوبوليتيكي لهم. ولكن تامزغة حينها لن تكون كما يتوهم البعض مستقلة وقومية فقط، بل هي في الحقيقة الشكل الجديد للسيطرة الإستعمارية تحت غطاء آخر وخلف علم مختلف وإيديولوجية مغايرة، بحيث تصبح في الحقيقة مجرد قاعدة كبرى متقدمة للدولة الفرنسية ولبعض حلفائها الغربيين تضمن لهم موارد طبيعية وطاقوية وصناعية لم يتصوروا أنه يمكنهم بالتحكم فيها بشكل مطلق منذ منتصف القرن العشرين قبل انطلاق نزعة التحرر والجهاد الشامل -رغم العرقلة التاريخية التي حدثت إبان الاستقلال من بقاياهم-.

- الخلاصة والتوصية:

إذن فهذه هي رؤيتنا لأبعاد المشروع الانفصالي وفق السيناريو الكارثي على المدى البعيد، أي هندسة المشروع الإستعماري، بالضبط: **عودة الإستعمار من النافذة**، وهي نافذة قومية خبيثة تسامح معها الكثير بسبب عدم تبصّرهم الجيد بالموضوع، وتورط فيها العديد من دعاة النشاط السياسي والحقوق، في حين أنه مشروعٌ غداؤه الحقد ولذته التمزق، ثم الظلم، ومنهجيته التحطيم الروحي، ووسيلته الإلحاد والعنصرية. إنها تركيبة ذكية جدا وخبيثة ولكنها مكشوفة، فهي تستطيع اللعب على وتر الممكّنات الإيديولوجية والاجتماعية بشكل مرن. قد يظن أحدهم أنه مشروع أشبه بالخيال! والحقيقة أنه بالاستناد إلى قاعدة "أن السياسة هي فن الممكن"، فيجب القول أنه يمكن ألا يكون كذلك أيضا. فتاريخ البشرية قد أظهر مشاريعا إستراتيجية أكبر منه أصلا وأكثر زخما، كمشروع الشيوعية السوفييتية.. ولكن حتى

لو افترضنا أنه مجرد خيال فإنه في الحقيقة خيال الداعمين له وليس خيال المحللين أو الباحثين، ومع هذا فيمكن طرح حجة عقلية على شكل استبيان متكوّن من أسئلة محورية - بناء على أطروحاتهم السياسية والإيديولوجية- بالإمكان استعمالها لتحفيز التفكير الاستراتيجي في هذه المسألة، وهي:

- 1- هل مشروع الانفصال يرفض تأسيس دولة جمهورية مستقلة ذات سيادة؟ (أي هل يكتفي بمجرد فيدرالية؟)
- 2- إذا كانت للمشروع فرصة حكم الدولة الجزائرية وفق إيديولوجيته، هل سيرفض ذلك؟
- 3- إذا كان حلم تامرغة الكبرى هو أكبر مرحلة من مراحل المشروع لسيطرة أشمل، فهل سيسعى المشروع إلى تحقيقه مهما كان الثمن أم سيتخلى عنه؟

فوفق هذه الأسئلة يمكن تحديد الإجابات التي تتطابق تماما مع ما جاء سابقا إشارةً أو ضمنا.

أما التوصيات التي يجب طرحها فهي: أنه لا بد أولاً: من معرفة وتحديد من هو المستهدف: الأرض أم الإنسان؟ فلو كانت الأرض فقط لكان الأمر أبسط نسبيا لأن الإعداد الحربي سيكون كافيا لمواجهة التهديد، وعليه فبناء الإنسان هو الأولوية إذا أرادت الدولة النجاة، أي بناء روح الإنسان الجزائري وتعزيز إيمانه وتعزيزا علميا وفكريا وسلوكيا عبر تقديم النماذج القوية الصحيحة بواسطة تصحيح وضبط مفاهيمه التاريخية والفلسفية وتقديم نموذج اقتصادي له ووضع رؤية استراتيجية ترشده لحقيقة العالم من حوله، ثم ثانيا: بناء المواطن ماديا عبر إصلاح اقتصادي جذري في الدولة وجعل القضاء على الفقر مشروعاً قائماً بذاته، ثم ثالثاً: إصلاح منظومة التعليم وهيكله القواعد البيداغوجية لبناء شخص سوي وقوي تربويا وعلميا وبدنيا، ثم رابعاً: إعادة هيكلة الدولة الجزائرية من ناحية الإدارة وتقسيم النواحي والجهات تقسيماً جديداً بنظام إقليمي يقضي على التفاوت الاجتماعي والانقسام الطبقي من زاوية التنمية والاهتمام والاستماع للمواطن ومحاورته باحترام لمعرفة الأسباب الحقيقية التي تدفعه للانفصال أو تشكيل نزعة معينة، ثم خامساً: العمل الجدي على تطوير المشروع النووي الجزائري.

ج. الزاوية الثالثة: العمق الإستراتيجي للصحراء الجزائرية: نقاط قوة الجنوب

من الواجب دراسة هذه القضية من مقاربة العمق الإستراتيجي -أو (المجال الحيوي) بلغة المدرسة الإستراتيجية الألمانية- وليس من منطلق سياسي بحت، وهنا سنجد حينها أن المصلحة الاقتصادية الحقيقية للصحراء هي في إقليم الساحل. فمثلاً: المسافة بين "تيندوف" و"نواكشوط" المطلة على المحيط الأطلسي -مع كل ما يمنحه هذا المعطى الأخير من مميزات- تبلغ 1600 كلم أي أقرب منها إلى العاصمة وضواحيها الشمالية. والمسافة بين ولاية "إبليزي" و"نجامينا" عاصمة التشاد و"نيامي" عاصمة النيجر كذلك هي أقرب، حيث

تبلغ مع نجامينا 1600 كلم ومع نيامي 986 كلم، والمسافة بين "تمنراست" و"أبوجا" عاصمة نيجيريا -مرورا بمالي والنيجر- تساوي المسافة بينها وبين العاصمة، أي تقريبا 2000 كلم، والمسافة بين "تيندوف" و"السينغال" المطلة على المحيط الأطلسي تقارب 1600 كلم وهي تقريبا نفسها إلى العاصمة وضواحيها. والمسافة بين "تمنراست" و"بورتو نوفو" عاصمة البنين المطلة على المحيط الأطلسي تساوي تقريبا المسافة بينها وبين مدينة "الأغواط" وسط الجزائر، أي 1500 كلم، وأقل من المسافة بينها وبين العاصمة وضواحيها. وبين "تمنراست" ومدينة "لومي" عاصمة "التوغو" تقارب 1600 كلم، أي هي أقرب إليها من العاصمة أيضا.

وعليه فإن الجنوب يجد تنميته الحقيقية بإنشاء أسواق التجارة الحرة مع مختلف دول الساحل وبالأخص أن هذا الإقليم ينتمي إلى مناخ (السافانا الاستوائي) بحيث أن فيه غطاء نباتيا يناسب عدة منتوجات زراعية طيلة مواسم السنة.

ومن زاوية أخرى تجمع بين المعطى الاجتماعي والاستراتيجي، فإن التحليل السوسيوستراتيغي يكشف وجود ترابط عضوي اجتماعي بين مجتمعات هذه الأقاليم مما يعني أنها قريبة من بعضها البعض، كقبائل الأزواد والطوارق والبدو الرحل وغيرهم. أما على مستوى التحليل الثيوستراتيغي فإن الرابط الديني المشترك يجمع غالبيتهم مع وجود قبائل أخرى مسيحية في مناطق محددة. أما لغويا فإنه إقليم متنوع اللهجات ولكن مع وجود لسان محلي يجمع بين مختلف الأعراق مثل التارقية -بمختلف لهجاتها الثلاث: التامهق والتامق والتامشق- من جهة، واللغة البلبالية التي هي خليط من لهجات سودانية قديمة وعربية وبربرية تنتشر بين مناطق "بشار" في جنوب غرب الجزائر والمملكة المغربية وتتقاطع مع لغات "السانغاي" ضمن عائلة اللغات "النيلية الصحراوية" التي يتكلمها ملايين الأشخاص على طول الجزائر والبنين والسودان والكونغو وكينيا وتانزانيا. وغير ذلك من اللهجات المشتركة أيضا.

وعليه فإن فالعمق الإستراتيجي للصحراء الجزائرية يمتد على طول هذه الأقاليم الإفريقية التي تتوافق معه في عدة نقاط مشتركة، ومنه فإن كل تلك النقاط تصبح عوامل للربط تسهل المعاملات فيما بين شعوب المنطقة وبالأخص تجاريا إذا ما تم تفعيل التام للطريق العابر للصحراء الممتد إلى غرب القارة الإفريقية، وكذلك تعزيز مناطق التجارة الحرة مثل تلك الواقعة مع حدود موريتانيا -رغم ما سيواجه ذلك من تهديدات أمنية بسبب الأوضاع في مالي والنيجر بحكم التدخل العسكري الفرنسي-. فبناء على ما سبق تقديمه، يمكن استنتاج أن طبيعة الجنوب هي طبيعة ديناميكية تجاريا واجتماعيا بالضرورة. وأنه حان الوقت لوضع استراتيجية حقيقية تخص الصحراء تتجاوز الحدود الوطنية وتذهب نحو تجسيد فعلي لمفهوم العمق الإستراتيجي حتى تظهر الإمكانيات الحقيقية لهذه الدولة الجزائرية، وبالأخص عبر

تعزيز وسائل النقل كالسكك الحديدية وتعبيد الطرقات وإنشاء أخرى جديدة. فالجزائر إذن في صحرائها والصحراء هي البنية الصلبة لجزائرها.

د. الزاوية الرابعة: الجزائر وتجديد ثقافة الاستعداد الحضاري للانقلابات التاريخية إستراتيجيا وفكريا.

د. 1. النقطة الأولى: الاستعداد الاستراتيجي بعد الحراك الشعبي.

يتغير اليوم شيء عميق في الجزائر إثر هذا الحراك الشعبي ليفتح من جديد طريقا آخر من الناحية الإستراتيجية ربما لم تتوفر لنا منذ ما قبل الإستعمار سنة 1830م. إن الأستاذ (مالك بن نبي) حينما قال أن "الإستعمار يفتح وجهة ثالثة في التاريخ"، فإن الاستنباط المنطقي الذي يمكن اكتشافه من خلال ذلك هو أن التاريخ تحكمه مجموعة من القوانين الخاصة تشمل النشاط البشري نفسيا واجتماعيا وعقليا وبدنيا، بينما الإستعمار -بل وحتى منذ الحملات الصليبية الأولى- وعبر قلبه لتلك القواعد فإنه يؤثر في صيرورة النفس والمجتمع والعقل أيضا فينتج مرضين: الأول هو (القابلية للاستعمار) على المستوى النفسي، والثاني هو (القابلية للتخلف) على المستوى الاجتماعي. وهنا بالتحديد كل فرد وكل مجتمع إذا ما استقبل هذين المرضين فإن القواعد الأساسية للتاريخ ستتغير مما سيتغير تاريخه كلية فيما بعد. وهنا تتفتح وجهة ثالثة في التاريخ أفرزتها العملية الاستعمارية التي لا هي (احتلال مؤقت) ولا هي (عملية ضم) كما حدث لبعض الشعوب، إذ في حالة الجزائر الاستثنائية فهي كما يعبر عنها الأستاذ مالك بن نبي قد كانت (فجوة جديدة) فيقول: "بعد قرن من يوم الاحتلال تبين أن الجيش الفرنسي لم ينزل بأرضنا لاحتلال مؤقت ولا لمجرد (الضم) بالمعنى التقليدي للكلمتين، لأن الاستعمار أدخل في التاريخ وجهة ثالثة، هي الاستعمار ذاته". إذن فالجزائر صارت وطيلة ما يقارب القرنين من الزمان.. منذ 1827م إلى 2019م مرادفة تماما لكلمة (استعمار)، بل حتى أنه لا تكاد تخلو الأدبيات السياسية والتاريخية من ضرب مثال الجزائر كلما ذكرت الاستعمار. وفي هذه النقطة بالتحديد يظهر جوهر العمل كله.. وهنا تطرح أشد الأسئلة جراءة وعمقا وجوديا:

- هل الحراك الجزائري اليوم يستهدف (إنهاء الإستعمار) أم (تغيير النظام) فقط؟ وهل الجزائري قد استعد ثقافيا لمواجهة التغيير الحضاري؟

إنَّ أي إجابة محتملة من طرف أي كان ستكون صائبة في الحقل الدلالي لهذا السؤال مهما كانت تقريبية، إذ هناك من يركز على المشروع السياسي وهناك من يركز على المشروع الحضاري بأكمله. ولكن لو ندقق فسنجد أن الحراك الجزائري يقع بين حدين خطيرين هما ما يجب أن يعرفهما الجزائري من خلال مساره المستقبلي: الحد الأول هو أنه باستهدافه إنهاء الاستعمار فهذا سيقضي منه الارتفاع إلى مستوى المواجهة العالمية لأنه يقابل نزعة ليست فرنسية فحسب وإنما حضارية عموما، ألا وهي الإمبريالية. وهنا عليه إعادة النظر في كل

خصوصيات العلاقات الدولية ومكونات النظام العالمي الجديد من أجل تحديد علاقته بدقة وفق المصلحة الوطنية. أما الحد الثاني فهو أنه باستهدافه تغيير النظام السياسي فهذا يعني بأنه في صدد مواجهة داخلية لها علاقة مع الإستعمار مباشرة -باعتبار أن المجتمع الجزائري قد تعرض للعيش في فجوة ثالثة في التاريخ طبعته بكل البصمات الخاصة بها فأنتجت الموالين للاستعمار ودعاة الإدماج والطابور الخامس والانفصاليين والاستثنائيين والتغريبين والجهويين وتجّار الدين وغيرهم-، وهنا عليه إعادة النظر في كل خصوصيات المجتمع الداخلية نفسيا واجتماعيا.

فإذا كانت الصورة الحقيقية (للحراك التغييري) هي هذه، فهذا يعني حقا أن التاريخ سيبدأ بالعودة نحو مساره الطبيعي وسكّته الصحيحة بالنسبة للدولة الجزائرية. إلا أن الخطورة الأكبر تتبع في خصوصية هذا التغيير، إذ أنه يستحيل أن يتم تغيير تاريخي معين ثم تعود الأمور لما كانت عليه تماما، بل إما أن تعود للأسوء وإما أن تتوجه نحو الأحسن.

والجزائري اليوم مطالب بأن يتمتع بثقافة عالية تدمج عواملها الأربع التي يذكرها الأستاذ مالك بن نبي في كتابه (شروط النهضة) والتي تشكل مجموعها ما يسمى بـ"الثقافة"، ألا وهي: "المبدأ الأخلاقي، والذوق الجمالي، والمنطق العملي، والتقنية"، فالمسلم إذن لابد عليه أن يتحلى بهذه العدة عن حق وحقيقة إذا أراد أن يكون على مستوى التحديات العالمية والتغيير المنشود. بحيث أنه منطقيا إذا امتلك الشخص وسائل تكنولوجية في يده ومنهجية عمل لنشاطه وذوقا جماليا في نفسيته إضافة إلى مبدأ أخلاقي في مجتمعه، فإنه بالضرورة قد شكّل ثقافة إنسانية عالية تجمع بين المثالية والواقعية على حد سواء دون سقوط في المخاتلات الإيديولوجية بينهما أصلا. ولقد عبّر العالم التركي الأستاذ "بديع الزمان سعيد النورسي" من قبل في (رسائل النور) عن الحقيقة المتعلقة بهذا المسار التاريخي الحرج -أي مسار التغيير في أي مجتمع- بالقول: "إن الحال القديمة محال، فإما حال جديدة وإما الاضمحلال" .. فإلى أي مدى قد استوعب الجزائري هذه الحقيقة؟ حيث أنه كلما استوعب منها جزءا كلما ازداد حسّ المسؤولية فيه أكثر وفهم بدقة أكبر حساسية هذا التغيير الذي لا يخص الجزائر لوحدها بل هو ضمن تغيير أكبر يشمل شبكة كاملة من العلاقات الدولية ضمن هذه التحولات الأخيرة.

وهنا بالذات لو نراجع علاقاتنا الدولية وفق جذورها الحضارية ووفق الاعتماد على ثقافة الاستعداد الحضاري للانقلابات التاريخية فسنجد أن المواطن الجزائري اليوم عليه أن يدرك مسؤوليته الشخصية كفرد ومسؤوليته الجماعية كمواطن أيضا وأن يكون في مستوى من الوعي يمكنه بواسطته أن يدرك في الداخل ما يحدث بالخارج وأن يسمع في الخارج صدى ما يحدث في الداخل لوجود الترابط بين الاثنين، وكذلك أن يعلم بأن المستقبل سيكون حتما للعمل الإيجابي البناء، وأن هناك موازينا كبرى ستتقلب رأسا على عقب لتعود نحو قارة آسيا

من جديد، مما سيفتح الباب أمام البلدان المنتمية لنفس عمقنا الحضاري يمكن العمل معها في إطار مشترك وبناء علاقات جديدة في ظروف أكثر واقعية للسلم خارج أبعديات الإستعمار والتبعية والانحطاط السياسي والاجتماعي والثقافي، إذ "الحال القديمة محال.. فإما حال جديدة وإما الاضمحلال". وهذا ما يمكن استنتاجه من المخرجات الإيجابية للحراك الشعبي، أي أن يتحلى الجزائري بثقافة الاستعداد الحضاري التي تمكنه من أن يكون فاعلا رئيسيا في التاريخ.

د. 2. النقطة الثانية: الاستعداد الفكري بعد وباء كورونا

بعد الأزمة البيولوجية المتمثلة في الكورونا، فيبدو بأن هناك تغيرا سنرصده على مستوى التيارات الفكرية العالمية لنشهد توجهها وصعودا للروحانية مقابل المادية، وقد رأينا مؤشرات لذلك تمثلت في تنامي المظهر الديني لعدة قادة عالميين أثناء شعورهم بالعجز في الأسابيع الأولى للوباء، ونزوع المجتمعات نحو المراجعات الأخلاقية لمواقفهم بحكم أن الموت صار أقرب، إلى غيرها من المؤشرات.

وهذا راجع بالأساس إلى ثلاثة أسباب محورية: أولا- لعجز الفكر المادي عن طمأنة الإنسان وجوديا في أعقد أزمة واجهته في الربع الأول لهذا القرن. وثانيا- لكشف أزمة الوباء عن حاجة مناعة الإنسان الجسمية للقوة النفسية، وهي التي بالطبع لا يقدمها الفكر الدنيوي الضيق لأنه غير متعلق بالموت أصلا باعتبار أن الأخير ليس من مباحث المادة بل الميتافيزيقا. وثالثا- لظهور ضعف العلاقات الاقتصادية الدولية المعتمدة اليوم بعد بضعة أشهر من الحجر الصحي مما رفع نسبة الاعتماد على الخدمات الإنسانية ذات الأسس الأخلاقية بدلا من البراغماتية.

فكل هذا وأكثر سيؤثر على نمط الفكر السياسي على نطاق واسع بسبب تداخل السياسة مع الخلفية الفكرية والفلسفية لكل أمة، أو كما يسميها إيمانويل كانط بـ(رؤية العالم) -أي الرؤية الكونية-، وهذا سيؤدي تلقائيا إلى رفع مستوى البحث في الفلسفات ذات الطابع الإنساني/ الأخلاقي/ الروحاني، مما يعني تصاعد الاهتمام بالثقافات الشرقية المعروفة بذلك الطابع، عكس المادية والبراغماتية، فتعود الفلسفات القديمة مثل الكونفوشيوسية والبوذية والأفلاطونية -وحتى المثالية الألمانية بنسبة معينة- إلى الواجهة، وهذا يعني أيضا عودة الثقافة الإسلامية إلى الواجهة العالمية لسببين رئيسيين على الأقل: أولا- لأن الفلسفات الشرقية الأخرى بغض النظر عن بعض قيمها الأخلاقية إلا أنها تجريدية بشكل كبير جدا وتنزع للروحانية شبه المطلقة بشكل قد لا يتماشى مع متغيرات هذا العصر. وثانيا- لأن الثقافة الإسلامية يقوم جوهرها على اللامركزية سواء الجغرافية أو القومية، أي شاملة ويجد فيها أي طرف موطن قدم له دون الشعور بالاغتراب أو الغرابة لأنها تعتمد على الإنسان كإنسان لا ككلون أو قومية أو لغة. وهذا الأمر تعززه ديناميكية الإسلام الحرة التي تجمع بين

الروحانية والمنهج والعملي.

كل ذلك إذا أسقطناه أيضا على الحالة الجزائرية في التجربة الحالية أثناء الوباء، سنرى أن هذه الأزمة قد أبانت أيضا عن إفلاس علمي وفكري وحتى أخلاقي كبير من طرف الكثير من المؤدجين هنا، حيث أن اكتفاءهم فقط بإثارة صراعات إيديولوجية ونقاشات غير منطقية وجدليات واهية في وقت كان الواقع الملموس يحتاج لخدمات إنسانية ومبادرات تطبيقية وابتكارات تكنولوجية، وكان غيرهم أيضا يقدمون فيه نماذج كبرى في البحث العلمي والخدمات الإنسانية، كل ذلك قد ضرب تماما مصداقية المؤدجين وإيديولوجياتهم على حد سواء، وفي نفس الوقت قدم نموذجا بديلا يتمثل في المبادرين والمبدعين على كل المستويات، علميا وعمليا وإنسانيا. مما رفع من أسهم غيرهم من ذوي الثوابت الحضارية وأنزل بأسهمهم إلى الحضيض فتركوا بصمة مشوهة تماما في تاريخ هذه الفترة عكس الآخرين الذين كانوا هم صنّاع المشهد والواقع. فبسبب سوء تقدير للموقف من طرف أولئك أصبحوا مجرد مثال عن التدمير الفارغ والنقاش العقيم والتطفل على الغير والفوضى المفاهيمية والمحدودية العقلية، بدلا من أن يكونوا نموذجا -مفترضا- لما كانوا يروجون له عن العلم والإنسانية والتقدمية وباقي الشعارات الإيديولوجية التجارية قبل أزمة الوباء. إذن فهذا قد كان مؤشرا قويا يحدد معالم المستقبل الذي يتشكل على مستوى الفكر والمجتمع. وعليه، فإن دراسة اتجاهات وتيارات الفكر على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي يتيح إمكانية توقع توجهات الموازين الثقافية للدول والأمم والمتغيرات اللاحقة.

الخاتمة:

انطلاقا من كل ما تم تقديمه يمكن استخلاص عدة نتائج من أهمها أن الرواية التاريخية حينما تكون موضوعا كما حدثت دون إقحام للتأويل الذاتي والإيديولوجي وبدون تعليق إضافي في متن السرد ستكون أكثر إنصافا وواقعية، لأن العقل سيتجه في الأخير إلى استخلاص العبر والدروس وليس اقتحام جدليات قديمة لن تنتج شيئا، وفي نفس الوقت فإن هذه المنهجية ستفيد في تكوين شخصية الفرد بناء على معلومات تاريخية وعبر أخلاقية لا على عقد نفسية وصراعات إيديولوجية، وهذا ما تمت الإشارة إليه في البحث لضبط بعض المفاهيم ووضع التصويبات الهامة لها، مما أظهر أن التاريخ الجزائري لم يتشكل صدفة ولا تكون بمعزل عن العالم، وإنما هو في حقيقته امتداد لشعوب أخرى أيضا تتوزع على الشمال الإفريقي والغرب الآسيوي معاً وعلى حد سواء. فهناك إذن ارتباط عضوي معها، وكذلك أن الإسلام حينما وصلت رسالته إلى المغرب الأوسط هنا لم يجد شعبا واحدا في إطار متحد مثلما هي حدوده اليوم، وإنما وجد شعوبا وقبائل متعددة من بينهم أيضا بربراً أريسيين يعتنقون المذهب الأريوسي التوحيدي الأقرب إلى الإيمان مما جعل الرسالة تتوافق مع قناعاتهم لأنها أصلا متطابقة مع ما يحملونه من توجه ديني كان هو نفسه السبب في اضطهادهم من طرف الصليبيين وحلفائهم من بعض البربر الصليبيين أيضا، وهذا ما يمكن استنتاجه منطقيا أيضا

من خلال الرسالة التي بعث بها النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل عظيم الروم آنذاك والتي يحمله فيها إثم "الأريسيين" في حالة بقاءه على منهاجه أو الحيلولة بينهم وبين حريتهم في اختيار الإسلام -إذ كان الناس قديما يتبعون ديانة ملوكهم، وجوهر الرسالة هي الدعوة لعدم إكراههم في حالة عدم اعتناق الإسلام-، ومنه فإن الأريسيين المظلومين كانوا موجودين في كل المناطق التي يشملها حكم الروم، ومن بينها منطقة الجزائر حاليا، مما يؤدي إلى تصحيح مغالطة تاريخية كبيرة جدا تم ترويجها بشدة مؤخرا حول محاولة تشكيل علاقة جدلية بين البربر والإسلام في حين أنه من غير المعقول إخفاء حقيقة أن البربر الأريسيين - غير الوثنيين وغير الكاثوليكين- كانوا أصلا مظلومين من طرف الروم ومن طرف عدة قوى من بني جلدتهم وأنهم كانوا مشمولين ضمن رسالة النبي المبعوثة لهرقل باعتبار أن الأخير كان على رأس الإمبراطورية التي حكمتهم أيضا. والنقطة الأخرى التي يمكن استنتاجها أيضا أن المناهج الدراسية الجزائرية قد افتقرت للعمق المطلوب في التاريخ القديم مما أدى إلى بعض التضاربات الفكرية مما يستوجب إعادة وضع النقاط على عدة حروف تؤدي حاليا للاستشكال بما يفتح الفرصة للمغالطات المُصطنعة.

وعلى مستوى آخر فإن الخلفية الفلسفية للثورة الجزائرية تؤكد بما لا يترك أي مجال للشك أنها كانت مناهضة لكافة أشكال التغريب والاستئصال والإدماج والفرسة والإمبريالية الغربية، فضلا على أنه قد تبيّنت ضرورة استمرارية ثورة السلاح في الماضي بثورة الوعي في الحاضر، أي بثورة فكرية معاصرة تكشف أولا الأفكار الميتة المُستوردة من بعض النخب وتحدد مجمل المغالطات المنطقية المُمارسة كالتى تم كشفها في المقال، ثم وضع مبادئ هذه الثورة على أسس وطنية لمدرسة جزائرية أصيلة بنموذجها وثابتة بعمقها الحضاري ضد الفكر المبني على المغالطات والعنصريات. وأيضا فإن المجال الاقتصادي كما رأينا فإنه لا بد أن يتماشى مع المشروع السياسي للدولة وتوجهها الحضاري ليرى المواطن الجزائري أن واقعه المادي المتشكل أمامه يتماشى مع طموحاته ومشاريعه.

ثم في الأخير يظهر ذلك المسار لخرج للدولة الجزائرية سواء على مستوى علاقاتها الجيوبوليتيكية إقليميا أو تحدياتها التفكيكية داخليا، مع امتداد عمقها الاستراتيجي اجتماعيا واقتصاديا، والمتغير العالمي فكريا وسياسيا بعد الأزمة البيولوجية لاستشراف سلوك المجتمعات الأخرى.. فكل ذلك يجعل العمل منصبا على رصد المتغيرات بدقة لتحديد الشكل العام للحاضر والمستقبل من أجل التوقع في موقع قوة.

وعليه إذن، كإجابة عن الأسئلة الأربعة المتضمنة في بداية البحث نقول:

أولا: إن مميزات العمق الحضاري والإرث التاريخي والبشري للجزائر هي: عراقة الإرث الذي احتوى عدة أقوام كالفينيقيين والبربر والوندال وعرب الجزيرة والأفارقة السود ثم الأتراك أيضا فيما بعد وغيرهم، ممن استوطنوا شمال إفريقيا من السافانا الساحلية جنوبا إلى

البحر الأبيض المتوسط شمالا في مختلف المناطق. وكذلك تعددية المكونات القومية التي قامت بالتكامل وتشكيل بنية اجتماعية أسست في الأخير الدولة الجزائرية الحالية.

ثانيا: أما أبرز ملامح خلفيتنا الفكرية الجزائرية: فهي **العمق الحضاري، والاطلاع الشامل على الإرث الإنساني، والنزعة الثورية ضد الاستلاب التغريبي والبدعي على حد سواء، والدمج بين النظرة الواقعية والتطلعات المثالية.**

ثالثا: أما أسس الإقلاع الاقتصادي الجزائري فإن المسألة تعتمد بالأساس على رؤية قائمة على أربعة محاور: "**الزراعة، والصناعة، والتجارة، واقتصاد المعرفة**". مع ثورة حقيقية ضد الفلسفة التي تبرر لثقافة الريع والتبعية المبالغ فيها لمداخل المحروقات بدلاً من جعلها مداخلًا مساعدة على الإقلاع لا مُعطلة أو مُسوّفة له. مع ترسيخ فلسفة تشجيع فرص الإبداع العلمي وتحفيز القطاع الخاص مع ضرورة الحد من فوضى الثقافة (السوسيلية) غير الموجهة، ووضع الإطار التنافسي الذي يساعد الفرد من جهة على التخلص من الإتكالية، ويحفزه من جهة أخرى على النشاط الخاص حتى ولو كان منخرطاً في الوظيفة العمومي.

رابعا: أما عن التحديات الإستراتيجية فإنها تتوجب منا تفكيك مسارها الحرج الذي يتركز بشكل كبير في **تحدي الإستقرار الجيوبوليتيكي إقليمي وبالأخص مع بقاء النزعة الاستعمارية التقليدية لفرنسا، ومع امتداد هذه النزعة محليا على شكل تحدي النزعة الانفصالية داخليا، وكذلك في مشكلة تكوين ثقافة الاستعداد الحضاري للانقلابات التاريخية** عند المواطن الجزائري من خلال ضرورة أن يكون مطلعاً على المتغيرات العالمية سواء على المستوى الفكري أو الاستراتيجي، مع تشكيله **لمعرفة حقيقية بأهمية عمقه الإستراتيجي إفريقيا** باعتبارها المجال الحيوي الأول للصحراء الجزائرية التي بدورها تعتبر عصباً أساسياً للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجزائر، مما يستوجب علينا رفع مستوى وعينا بأنفسنا وبمحيطنا أيضاً وبالأخص في هذه المرحلة التي تشهد تحولات وجودة سريعة جداً، وهذا ما تشير إليه أيضاً عملية رصد متغيرات **العالم الفكرية بعد الأزمة البيولوجية** لوباء الكورونا.

وعليه فإن المحور الأول المتعلق بالتاريخ الذي وُضعت فيه تصويبات أملت بها التجاذبات الإيديولوجية في الجزائر حالياً، قد أثبت صحة الفرضية القائلة بأنه: "**كلما ازداد إفلاس المجتمع نموذجياً في الحاضر، كلما ازداد جدله حول الماضي**". وكذلك فإن المحور الثاني المتعلق بالفلسفة يثبت صحة فرضية أنه "**إذا اعتمدت نخب المجتمع على الاستيراد الفكري، ضاعت نماذجها الأصلية ووقعت الدولة في الاغتراب**". أما المحور الثالث الاقتصادي فإنه يساهم في إثبات الفرضية القائلة بأن: "**التحديد السليم لحاجيات الدولة وإمكانياتها، يؤدي حتماً إلى التحديد السليم لكيفية تحقيقها**". أما المحور الرابع فقد أثبت بمختلف نقاطه ضرورة التركيز على المتغيرات الداخلية والخارجية والربط بين مختلف العلاقات المحيطة

بنا من أجل تحقيق فرضية أنه "كلما كان رصد المتغيرات الإستراتيجية دقيقا، كلما كان التوقع أكثر دقة".

ومنه في الأخير فإن الإجابة عن الإشكالية الرئيسة للمقال القائلة: "بأي شكل يمكن أن يتهندس المستقبل الجزائري في ظل هذه الصدمات التاريخية والفلسفية والأوضاع الاقتصادية والمتغيرات الإستراتيجية؟"، فإنها، وبناء على ما سبق تقديمه من محاور وفرضيات، هي:

أن المستقبل الجزائري يتهندس عبر ضبط المفاهيم التاريخية وتصحيح مغالطاتها والانطلاق في صنع تاريخ معاصر من أجل تكوين شخصية المواطن بدون عقد قومية أو عنصرية وتفادي إفلاس النماذج الحاضرة وعدم ازدياد جدليات الماضي. مع ثورة فكرية أيضا ضد التيارات المتهافئة والمستوردة، والتي تتناقض مع جوهر الفلسفة الثورية الجزائرية التي تتأسس على العمق الحضاري الوطني والإطلاع الإنساني المعاصر، وذلك من أجل إنقاذ الدولة من ضياع نماذجها الأصيلة. وكذلك وضع المشروع الاقتصادي الواقعي الخالق للثروة والمحفز على الإبداع دون ثقافة اتكالية، وفق التحديد السليم للثنائية القائمة بين حاجيات الدولة وإمكانياتها. مع رصد دقيق للمتغيرات الاستراتيجية لتفكيك المسارات الحرجة داخليا وتحديد التوقع المناسب إقليميا ودوليا.

قائمة المراجع:

-بالعربية:

- أبو العيد دودو، "الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 -1855". الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
- أبي عبيد البكري، "المسالك والممالك، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب"، مكتبة المثنى، بغداد.
- ألكسيس دو طوكفيل، "نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان"، ديوان المطبوعات الجامعية O.P.U، الجزائر، 2008م.
- زكيه يوسف طبوزادة، "تاريخ مصر القديم: من أفول الدولة الوسطي إلى نهاية الأسرات"، القاهرة 2008م.
- الحسن بن محمد الوزان، "وصف افريقيا -ج1 و2-"، دار الغرب الاسلامي 1983م.
- مالك بن نبي، "في مهب المعركة"، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981م.
- مالك بن نبي، "شروط النهضة"، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981م.
- عبد الرحمن بن خلدون، "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار يعرب للنشر، دمشق، 2004م.

- غابرييل كامبس، "ماسينيسا أو بدايات التاريخ"، ترجمة: العرب يعقون المجلس الأعلى للعربية 2006م.

-بالإنجليزية:

- Alain de Benosit, "the problem of democracy", Arckos media, 2011.
- A.H.Merrilis, "Vandals, Romans and Berbers", New Perspectives on Late Antique North Africa 1975.
- Charles Diehl, " L'afrique Byzantine Histoire de la domination byzantine en afrique", paris 1896.
- Duncan Head "Armies of the Macedonian and Punic Wars, 359-146 BC", ducncan head – 1982.
- Eli Harman, "Propertarian core Concepts", The Propertarian Institute.
- Herodotus histories, " book volume 2".
- Herodotus Histories," book volume 4".
- Kefi, Rym; et al. (2016). "On the origin of Iberomaurusians: new data based on ancient mitochondrial DNA and phylogenetic analysis of Afalou and Taforalt populations". Mitochondrial DNA.
- Krahmalkov, Charles R.: A phoenician punic grammar Leiden ; Boston ; Koln : Brill 2000.
- Levy, Thomas (1995-01-01). Arch Of Society. A&C Black-Olszewski, D.I. Issues in the Levantine Epipaleolithic : The Madamaghan, Nebekian and Qalkhan (Levant Epipaleolithic). Paléorient, 2006, Vol. 32.
- Marie-Pierre Arnaud-Lindet " Forum Romanum: Justin 18.3f (Contains Justin (18.3–6) relating the early story of Elissa in full. 2003.
- Thomas Sowell, "Applied Economics", kalimat arabia, 2009.
- Oliver Nicholson, "The Oxford Dictionary of Late Antiquity", Oxford University Press, volume 1, 2018.
- Procopius: "History of the Wars : Vandalic War", Harvard University Press, Vol. 2, Books 3-4 (January 1, 1916).
- Peter Snow "History of the world map by map", Dk London.
- Wilfred H. Schoff, "The Periplus of Hanno A Voyage of Discovery Down the West African Coast Carthaginian Admiral of the fifth century B.C" Translated from the Greek by A.M.

Secretary of the Commercial Museum Quoted in: Paideuma A journal devoted to Ezra Pound Scholarship^{1/2}.

- WILLIAM W. BATSTONE Catiline's Conspiracy, The Jugurthine War, Histories (Oxford World's Classics) 2010.

-بالفرنسية:

-Davila Nicolas gomez, "le Réactionnaire authentique", Editions du rocher, 2005.

- Campagnes de l'armée d'Afrique, 1835-1839 Campagnes de l'armée d'Afrique, – 1870.

- Gsell, Stéphane "Atlas archéologique de l'Algérie". GSEL 1911.

- Le costume historique, PLANCHES ET NOTICES, tom III, 101 à 200 -Smithonian-institution libraries 3 9088 00434251 5.

-Stèles et inscriptions libyques et libyco-romaines de la wilaya de Bejaia, Ministère de la Culture - CNRPAH Alger Wilaya de Béjaïa - Direction de la Culture OGBEC - Musée Bordj Moussa.

-بحوث أكاديمية:

- نبيل كحلوش، "العمق الإستراتيجي للدولة الجزائرية: في بعده العسكري والاجتماعي"، مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2017-2018م.

-الجرائد والمجلات:

- نبيل كحلوش: "أطراف فرنسية تستعمل الفوضى لخلط أولويات الحراك"، جريدة الشعب، الجزائر، العدد 18256، 11 ماي 2020.

- نبيل كحلوش: "مالذي يحدث حولنا بالضبط؟"، جريدة الشعب، الجزائر، العدد 18279، 16 جوان 2020م.

-اللقاءات الإعلامية:

/https://www.google.com/amp/s/www.rt.com/news/420715-putin-world-russia-nuclear/amp -